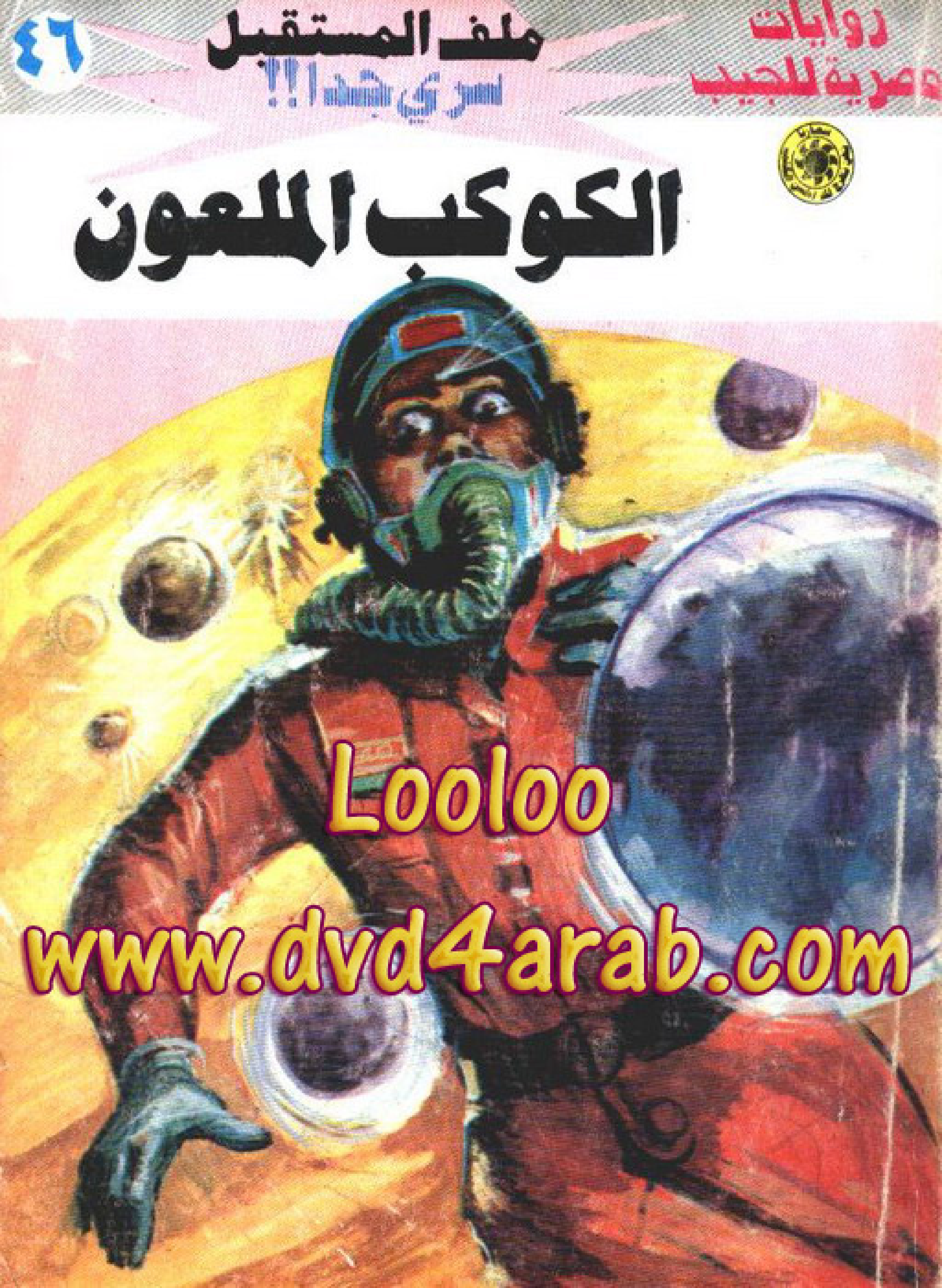
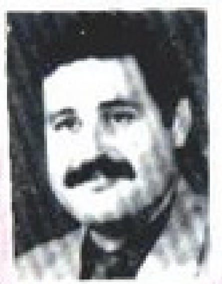

٤٦
ملف المستقبل
سري جداً !!
روايات مصرية للجيب
الكوكب الملعون
Looloo
www.dvd4arab.com

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الكوكب الملعون

- ما سرّ ذلك الكوكب العجيب ، الذى يلقى لعنته على كل من يقترب منه ؟
- كيف نجح عالم مصرى فى صنع كوكب ؟
- تُرى .. هل ينجو (نور) وفريقه هذه المرّة ، وينجحون فى كشف لُغز (الكوكب الملعون) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) فى حل اللُغز .

٤٦

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : المقاتل الأخير



١ — وانطلقت اللَّعنة ..

— « رائع يا دكتور (على) .. إنه أعظم حدث علمى فى القرن الحادى والعشرين .. لست أشك فى أنه سيمنحك جائزة (نوبل) لهذا العام » .

استقبل الدكتور (على) هذه الكلمات من بين شفتى رئيسه الدكتور (شوق) ، فى فخر وسعادة .. وارتسمت ابتسامة زَهْو على شفتيه ، وهو يتطلَّع إلى آلات تصوير الفيديو ، فى حين ابتسمت صحفية (أنباء الفيديو) اللامعة (مشيرة محفوظ) ، وهى تسأله فى اهتمام :

— وما الفائدة التى ينعم بها التقدُّم العلمى ، من مشروعك يا دكتور (على) ؟

رفع الدكتور (على) حاجبيه فى دهشة ، وهو يهتف فى استنكار :

— ياله من سؤال !!.. إن مشروعى سيحقِّق — بإذن الله — للتاريخ العلمى ما يصبو إليه منذ قرون يا سيِّدتى ..

وتحوّلت دهشته واستنكاره إلى اهتمام شديد ، وهو يستطرد :

ــ إن العلم يسعى ــ منذ قرون ــ إلى البحث عن منشأ كوكب الأرض ، ومعرفة مراحل التطوُّر التى مرَّ بها ، من العصر (الميوسينى) ، وإلى عصرنا هذا .. وهناك العشرات من النظريات ، التى يحاول أصحابها استنتاج طبيعة هذا التطوُّر ، دون أن تلقى نظرية واحدة منها موافقة واقتناع الجميع .. ومنذ عشر سنوات ، راودتنى فكرة جريئة جديدة ، يمكنها أن تنهى هذه الحَيْرة ، وتصل بالجميع إلى نظرية واحدة ، لا تقبل الجدل .

حاول أن يزدرد لُعابه ، الذى جفَّ من شدَّة انفعاله ، قبل أن يردف :

ــ وكانت هذه الفكرة هى صنع كوكب أرض جديد .

تألق الإعجاب والدهشة فى عيون الجميع ، فى حين تابع هو فى حماس :

ــ كانت الفكرة تبدو فى البداية حلمًا يستحيل تحقيقه ، ولكن التقدُّم العلمى كان يسير بخطًا سريعة مذهلة ، فى تلك الآونة ، وتقدَّمت إلى حدّ كبير عدد من الصناعات ، والعلوم

الحديثة ، كالصناعات الميكروسكوبية ، وعلوم القياس والتصوير الفضائى .. وتفجَّرت نظرية الجاذبية الصناعية ، وأمكن تحقيقها معمليًا فى نجاح ، وبات الحلم المستحيل ممكنًا .

توقَّف لحظة أخرى ، ليعود إلى الاستطراد فى حماس متزايد :

ــ وبعد عشر سنوات من العمل الشاق ، والدراسة المعقَّدة ، وفَّقنى الله (سبحانه وتعالى) إلى النجاح ، وأصبح لدينا أول نموذج بالغ الدِّقة لكوكبنا .. كوكب الأرض .

شهق بعض الحاضرين فى دهشة وإعجاب ، مما جعل ابتسامة الزَّهو تقفز إلى شفتيه مرَّة أخرى ، وهو يردف فى فخر :

ــ نموذج رائع ، تمامًا كما كانت الأرض عند منشئها ، بكل بحارها ، وجبالها ، وغاباتها وأحراشها ، وجاذبيتها ، وسرعة دورانها .. حتى شمسها ، وقمرها ، وخط الاستواء .. كل شىء .. ليس مجرَّد نموذج عادىّ ، كذلك الذى نزيِّن به مكاتبنا ، ولكنه نموذج بالغ الإتقان ، حتى ليكاد يكون كوكبًا حقيقيًا ، تم تصغيره إلى هذا الحجم ، بغلافه الجوى ، وتقلّباته الجوية ، وأمطاره ، وبرقه ، ورعده ..

كان يتحدَّث فى انفعال ، حتى أن (مشيرة) هتفت فى لهفة وفضول :

ـ هل يمكننا رؤيته ، وتصويره ؟

هزّ رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ـ لا بالطبع ، فالغرفة التى تضمّ ذلك النموذج ، هى فى حدّ ذاتها معجزة علمية ، فلقد تم إعدادها ، وتزويدها بأحدث أجهزة الكمبيوتر ، بحيث باتت أشبه بالفضاء المحيط بكوكب الأرض ، لتوفير الظروف المناسبة للمشروع ، وفلاشات التصوير وحدها تكفى لإفساد كل ذلك ، وغير مسموح بدخولها إلّا لى وحدى ، وفى حرص بالغ .

بدا الحنق على وجه (مشيرة) ، وكأنها تعترض على حرمانها من تحقيق ذلك النصر الصحفى الهائل ، وسألته فى حِدّة :

ـ وكيف سيحقّق هذا النموذج ما يصبو إليه العلماء ؟

ابتسم الدكتور (على) فى هدوء العالم ، وهو يقول :

ـ لقد فاتتك نقطة علميّة هامّة يا سيّدتى ، وهى أن حجم هذا الكوكب الصغير يعنى أن اليوم الكامل بالنسبة إليه يساوى دقيقة واحدة بالنسبة لزمننا .. مما يعنى أن العام الكامل لكوكبى يساوى ست ساعات من زمننا ، والقرن من عمره يساوى مائتين وخمسين يومًا فقط .. تصوّرى كم من القرون يمكننا دراستها فى

عشر سنوات مثلًا ، خاصة وهى تتطوّر أمامنا ، تمامًا كما حدث لكوكب الأرض ذاته .

غمغمت (مشيرة) فى ضجر ، وكأنما فقد المشروع عظمته ، لمجرّد أنها تعجز عن تصويره :

ـ هذا عظيم .. لست أشكّ فى أنه سيفوز بجائزة (نوبل) .

ثم التفتت إلى فريق التصوير المصاحب لها ، وهى تستطرد فى ضيق :

ـ يكفى هذا .. هناك العديد من الأنباء ، ولن يحتمل وقت الصحيفة أكثر من ذلك .

وتجاهلت الدكتور (على) تمامًا ، وهى تصدر أوامرها للفريق المصاحب لها ، ولم يبال الرجل بتجاهلها إيّاه ، بل تطلّع إلى ساعته الذرّية فى قلق ، فابتسم الدكتور (شوق) ، وهو يهمس فى أذنه بإعجاب :

ـ لقد حان موعد تجربتك الجديدة .. أليس كذلك ؟

ابتسم الدكتور (على) ابتسامة شاحبة ، وهو يغمغم :

ـ بلى .. إننى أتوق لرؤية نتائجها .

عاد يسأله فى اهتمام :

ـــ ماذا ستفعل اليوم ؟

تردَّد لحظة ، ثم أجاب فى همس ، وكأنما يخشى كشف طبيعة عمله :

ـــ سأحرك طقس الكوكب الصغير ، بسلسلة من الزلازل وثورات البراكين ، والصواعق .. سأحاول معرفة تأثير ذلك على القشرة الأرضية .

ابتسم الدكتور (شوق) فى ارتياح ، ولم يحاول إخفاء رنَّة الإعجاب فى صوته ، وهو يقول :

ـــ وفَّقك الله .. أتمنَّى لك كل النجاح .

شكره الدكتور (على) بإيماءة من رأسه ، وأسرع يغادر مكتبه ، حيث عُقِدَ المؤتمر الصحفى ، وانطلق بخطوات واسعة عَبْر ممرّ مركز البحوث الجديد ، فى الصحراء الشرقية ، وهو يعقد حاجبيه ، وكأنما استغرقه التفكير ، حتى وصل إلى حجرة واسعة فى نهايته ، فأسرع يخلع سترته ، ويناولها لشاب يرتدى ثياب العاملين بالمركز ، وهو يقول فى عجلة :

ـــ هل أعْدَدْتَ كل شىء يا (نبيه) ؟

ابتسم الشاب ، وهو يقول :

ـــ نعم يا دكتور (على) .. يمكنك أن تبدأ عملك على الفور .

التقط الدكتور (على) معطفًا خاصًّا ، ارتداه فى عجلة ، وأحكم أزراره فى إتقان ، ثم أخفَى أنفه وفمه خلف قناع صغير ، يتصل بأسطوانة تمتلئ بالأكسوجين المضغوط ، وهو يقول :

ـــ حسنًا .. ابدأ العمل .

وفى سرعة .. دلف إلى حجرة جانبية ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، ثم أسرع الخطا داخل ممرّ قصير ، مضاء بضوء بنفسجى خافت ، وهو يغمغم فى أعماقه :

ـــ لابُدَّ من التعقيم الشامل والتام ، وإلَّا قضى ميكروب واحد على مشروعى كله .

وانتظر فى نهاية الممرّ فى توتُّر ، حتى تحوَّل الضوء البنفسجى الذى يغمره ، إلى ضوء أصفر هادئ ، وهنا تنفَّس الصُّعداء ، ودفع كوَّة صغيرة ، عَبَر من خلالها إلى عالمه ..

عالم مبهر رائع ، بدا الدكتور (على) وسطه كعملاق يسبح فى فضاء عميق ، يمتلئ بنجوم صناعية صغيرة ، تبدو كبؤرات من الضوء الخافت ، وتتوسطها شمس صناعية متألِّقة ، يسقط ضوءُها على نصف كوكب يدور حول نفسه فى حركة منتظمة هادئة ، وهو

يدور فى الوقت ذاته حول الشمس الصناعية ، التى كانت ، على الرغم من تألُّقها ، تكاد تختفى وسط ظلام خافت يملأ ذلك العالم الذى صنعه الدكتور (على) ، بحيث بات نموذجًا كاملًا رائعًا ، بالغ الإتقان لجزء من المجموعة الشمسية ، بكل نظمها وقوانينها ..

واتجه الدكتور (على) إلى مجموعة ضخمة من أجهزة الكمبيوتر ، تحتلّ حائط القاعة الأيمن بأكمله ، ووقف أمام شاشة الكمبيوتر الرئيسى ، يتابع الكلمات المتراصة أمامه فى اهتمام وانتباه ، ثم غمغم فى صوت خافت ، لم يسمعه هو نفسه ، وسط الفراغ الصناعى ، الذى صنعه فى عالمه :

ـ رائع .. الأمور تسير على النسق الذى توقَّعته تمامًا .

ثم بدأ يضغط أزرار الكمبيوتر ، وهو يتابع فى لهفة :

ـ والآن نبدأ المرحلة الثانية .. مرحلة الكوارث الطبيعية .

تسمَّرت أصابعه فجأة ، وهو يحدِّق فى شاشة الكمبيوتر فى دهشة ، ثم غمغم فى حَيْرة :

ـ ماذا يعنى هذا ؟

ضاعت غمغمته وسط فراغ الحجرة(*) ، وهو يتابع حدثًا ما على شاشة الكمبيوتر ، ثم لم تلبث عيناه أن اتسعتا فجأة ، والتفت خلفه فى حركة حادَّة ، واتسعت عيناه فى مزيج من الدهشة ، والذعر ، والانبهار ، والاهتمام ، وهو يحدِّق فى نقطة ما من الفراغ ، ثم امتزجت مشاعره كلها ، لتتحوَّل إلى رُعب هائل ، وهو يتراجع إلى الخلف ..

وفجأة .. أطلق صرخة مدوِّية ..

صرخة لم يسمعها أحد ..

صرخة ضاعت وسط الفراغ الذى صنعه هو ..

وسقط الدكتور (على) ..

سقط جثَّة هامدة وسط عالمه ..

عالم الكوكب الملعون ..

* * *

(*) الموجات الصوتية لا تنتقل فى الفراغ .



ثم امتزجت مشاعره كلها ، لتتحوَّل إلى رُعب هائل ، وهو يتراجع إلى الخلف

٢ ـ عالم الخوف ..

توقَّفت سيارة (نور) الصاروخية ، وسط حشد من الصحفيين ، الذين يحيطون بمركز بحوث الفضاء الجديد ، والتمعت فلاشات التصوير الأيونية ، وتألَّقت عدسات الفيديو المجسَّم ، وهى تلتقط صورته ، وصور فريقه ، وهم يغادرون السيارة الصاروخية ، ويتجهون إلى المركز ، وألقيت مئات الأسئلة ، دون أن يجيب أحد أفراد الفريق بعبارة واحدة ، وبدا (نور) متجهِّمًا ، معقود الحاجبين كعادته ، كلَّما واجه لغزًا علميًّا جديدًا ، فى حين بدت (سلوى) ضجرة متبرِّمة ، وظلَّ (رمزى) هادئًا ، جامد الملامح .. أما (محمود) فقد بدا أقرب إلى الخجل ، بوجهه المتورِّد ، وعينيه اللَّتين تتشاغلان عن عدسات التصوير بالتطلُّع إلى اللافتة التى تحمل اسم المركز الجديد ..

وفجأة .. انطلق صوت يجمع بين الدهشة والسخرية ، يقول :

ــ الرائد (نور) وفريقه ؟! .. إنها وفاة غامضة إذن !

التفت (نور) إلى مصدر الصوت فى ضيق ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة باردة ، وهو يقول :

ــ مرحبًا يا (مشيرة) .. كيف حالك ؟

ظهرت دلائل الغيرة على وجه (سلوى) ، حين رؤيتها لـ (مشيرة) ، التى قالت فى مزيج من المرح والخبث :

ــ فى خير حال أيها الرائد .. مادمت هنا فسأحظى بخبطة صحفيّة رائعة .

أجابها (نور) فى برود :

ــ لا أظن ذلك يا (مشيرة) .. فهى حالة وفاة عاديّة ، والتحقيق فيها لن يستغرق ساعة على الأكثر .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وهى تقول :

ــ لا تحاول خداعى أيها الرائد .. كلانا يعلم أن فريقك لا يكلَّف المهام العادية .. وما دمتم هنا ، فهناك سر غامض خلف مصرع الدكتور (على) .

هزَّ كتفيه ، وهو يغمغم فى سخرية :

ــ ربَّما .

ثم عاد يشق طريقه إلى المركز ، الذى أغلق أبوابه فى وجه الصحفيين فى صرامة ، وأسرع مديره الدكتور (شوقى) يستقبل (نور) وفريقه ، وهو يقول فى مزيج من الحزن والتوتُّر :

ــ كم يسعدنى حضوركم بهذه السرعة أيها السادة .. إن حادث مصرع الدكتور (على) يبعث فى قلوبنا الأسى والذُّعر فى آن واحد ، فمصرعه يبدو غامضًا ومحيِّرًا للغاية .

سأله (نور) فى هدوء :

ــ هل لك أن تصف لنا ما حدث يا سيِّدى ؟

هزَّ الرجل كتفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ لا يوجد ما يمكن أن أصفه أيها الرائد .. لقد دخل الدكتور (على) إلى قاعته ، التى يعدّ فيها مشروعه العظيم .. وكان من المفروض أن ينهى تجاربه فى خلال ساعة واحدة .. ولمَّا طال به الوقت ، شعر مساعده (نبيه) بالقلق ، فارتدى قناع الأكسوجين ، وذهب ليتفقَّده ، وفوجئَ به صريعًا وسط عالمه .

تبادل أفراد الفريق نظرات الدهشة والحَيْرة ، وقال (نور) .

ــ ماذا تعنى بـ (عالمه) و (ارتدى قناع الأكسوجين) يا سيِّدى ؟ .. فيمَ كان يعمل الدكتور (على) بالضبط ؟

شرح لهم الدكتور (شوق) مشروع الدكتور (على) بكلمات موجزة ، وهم يستمعون إليه فى دهشة ، ثم هتف (محمود) :

ـــ يا إلٰهى !! .. عالم كامل !! .. يا له من إنجاز علمى رائع !!

وهتفت (سلوى) فى فضول :

ـــ هل يمكننا رؤيته ؟

تردَّد الدكتور (شوق) لحظة ، فقال (نور) فى صرامة :

ـــ أعتقد أنه من الضرورى أن نرى ذلك العالم الصناعى يا دكتور (شوق) فهو فى الواقع مسرح الجريمة .

رفع الدكتور (شوق) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ جريمة ؟! .. ولكن الدكتور (على) كان وحده أيها الرائد و ....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـــ ليس من الضرورى أن يتواجد القاتل فى مسرح الجريمة يا سيِّدى ، فمن الممكن ـــ فى ظل التقدُّم العلمى الحالى ـــ أن يرتكب جريمته ، وهو يجلس على بعد مئات الكيلومترات ، بواسطة التوجيه الآلى ، أو الكمبيوتر مثلًا .

عقد الدكتور (شوق) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ الكمبيوتر ؟! .. يا إلٰهى !

أسرع (نور) يسأله فى اهتمام :

ـــ هل هناك ما يقلق بشأن الكمبيوتر يا سيِّدى ؟

تردَّد الدكتور (شوق) لحظة ، ثم أجاب فى انفعال :

ـــ حينما عثر (نبيه) على جثة الدكتور (على) ، كان الكمبيوتر متوقِّفًا عن العمل ، ولكن شاشته كانت تحمل إحداثيات غير مألوفة .

انبرت (سلوى) تسأل فى اهتمام :

ـــ أيَّة إحداثيات يا دكتور (شوق) ؟

تردَّد مرَّة أخرى ، ثم غمغم فى أسف :

ـــ لقد محاها (نبيه) للأسف .. فقد كان من الضرورى أن يعيد الكمبيوتر إلى برنامجه الأصلى ، وإلَّا ضاع عالم الدكتور (على) .

تبادل أفراد الفريق نظرات الشَّك ، ثم قال (نور) فى هدوء :

ـــ حسنًا يا دكتور (شوق) .. دعْنا نشاهد ذلك العالم العجيب أولًا ، وبعدها سنلتقى بـ (نبيه) .. وسيكون عليه أن يمنحنا تفسيرًا مقنعًا لما فعل .

* * *

وقف أفراد الفريق وسط العالم الصناعى مشدُوهين ، يختفى انفعالهم وانبهارهم خلف أقنعة الأكسوجين ، التى تغطّى وجوههم ، وإن شفّت عيونهم المتألِّقة عن دهشتهم وإعجابهم ، بذلك الإنجاز العلمى المذهل ، قبل أن يشير إليهم (نور) ، فيبعد كل منهم عينيه فى صعوبة عن الكوكب الصغير ، الذى يدور فى فلكه فى هيْبة وبهاء ، ويتجه (محمود) و (سلوى) إلى جهاز الكمبيوتر لفحصه ، فى حين ينهمك (نور) و (رمزى) فى فحص القاعة فى حذر واهتمام ..

وبعد نصف ساعة تقريبًا ، التقى أفراد الفريق فى ركن القاعة ، وأشار إليهم (نور) بانتهاء الفحص ، والاستعداد لمغادرة العالم الصناعى ..

ومرَّة أخرى بذل أفراد الفريق جهدًا هائلًا ؛ لانتزاع أنفسهم من ذلك العالم المبهر ، وبدا الأسف على وجوههم وهم يعبرُون ممرّ التعقيم .. ولم يكد (رمزى) ينزع قناع الأكسوجين عن وجهه ، حتى هتف فى انبهار :

ــ إنه أروع شىء رأيته فى حياتى كلها .. إنها معجزة علمية بحق .

نزع (نور) قناعه ، وهو يقول :

ــ معجزة تستحق منع حدوثها بأى ثمن .

سألته (سلوى) فى قلق :

ــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

تنهَّد قبل أن يجيبها فى هدوء :

ــ أعنى أنه هناك عشرات الدول ، التى لن تتورَّع عن فعل المستحيل ، حتى تحرم مصر هذا النصر العلمى يا رفاق .

هتف (محمود) :

ــ هل تعنى .. ؟

قاطعه (نور) فى حزم :

ــ نعم يا (محمود) .. إننا أمام جريمة قتل .. جريمة قتل بالغة الإتقان والخسّة .

ران الصمت لحظة ، تبادل خلالها أفراد الفريق نظرات القلق والرِّيبة ، ثم غمغمت (سلوى) :

ــ يبدو أنك على حق يا (نور) .. فعلى الرغم من روعة هذا العالم ، إلَّا أنه يبعث فى أعماق شعورًا أبغضه .

سألها (نور) فى إشفاق :

ــ أى شعور يا زوجتى العزيزة .

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

ـ إنها رجفة تسرى فى جسدى ، وأنا أتابع دوران الكوكب الصغير حول نفسه يا (نور) .

وأردفت فى صوت أشد ارتجافًا :

ـ رجفة اسمها (الخوف) .

* * *



٣ ـ البحث عن القاتل ..

شحب وجه (نبيه) ، مساعد الدكتور (على) ، وهو يحدّق فى وجه (نور) بمزيج من الدهشة والذُعر ، مغمغمًا فى صوت مرتعد :

ـ أتتَّهمنى بقتل الدكتور (على) أيها الرائد ؟.. أتتَّهمنى بقتل أستاذى ؟

ابتسم (نور) فى برود ، وهو يقول :

ـ إننى لم أتَّهمك بعد يا سيِّد (نبيه) .. إنه مجرد سؤال .

تسلَّل الغضب إلى صوت (نبيه) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ بل هو اتهام أيها الرائد .. اتهام أرفضه وأبغضه .

حافظ (نور) على ابتسامته الباردة ، وهو يقول :

ـ لِمَ ؟.. كل ما فعلته هو أن سألتك : هل دخلت إلى القاعة خلسة ، قبل إبلاغك بمصرع الدكتور (على) ؟

هتف (نبيه) فى غضب :

ـ وماذا يعنى هذا السؤال فى رأيك ؟.. إنك تسألنى فى

خبث : هل قتلت الدكتور (على) أوّلًا ، ثم أبلغت بمصرعه بعد ذلك ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ فليكن .. هل فعلت ؟

صاح (نبيه) فى ثورة :

ـــ كلّا .. ولم يخطر ببالى قط أن أفعل .

واغرورقت عيناه بالدموع بغتة ، وهو يستطرد فى انفعال :

ـــ لقد كنت أحب الدكتور (على) ، وأحترمه ، وأنا أعاونه فى عمله منذ ثلاث سنوات ، فكيف يمكنك أن تتّهمنى بقتله ؟

التفت (نور) إلى (رمزى) ، الذى جلس هادئًا ، يتفرّس فى ملامح (نبيه) فى اهتمام ، فغمغم فى هدوء :

ـــ إنه صادق أيها القائد .

عقد (نور) حاجبيه فى تفكير ، وتمتم فى خفوت :

ـــ أأنت واثق يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) فى هدوء :

ـــ تمام الثقة يا (نور) .. إنه عملى .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وقد حطّمت تأكيدات

(رمزى) نظريته الأولى ، حول الجريمة ، وعقد كفيّه خلف ظهره ، وتنهّد فى قوة ، ثم رفع عينيه إلى (نبيه) ، قائلًا :

ـــ اسمعنى جيّدًا يا سيّد (نبيه) .. لقد كنت ـــ فى رأيى ـــ المشتبه فيه رقم (واحد) ؛ لأنك الوحيد الذى يمكنه دخول القاعة ، وقتل الدكتور (على) ، دون أن يشعر بذلك أحد ، ثم إنك محوت تلك الإحداثيات الغريبة التى سجّلها الكمبيوتر ، دون أن تبلغ بها الآخرين .

هتف (نبيه) فى توتّر :

ـــ لو أننى تركت الكمبيوتر بتلك الإحداثيات ، لعمل على تكرارها بعد ست ساعات ، حينما يكمل الكوكب الصغير دورته حول شمسه الصناعية ، وسيؤدى ذلك إلى خلل حتمىّ ، قد يحطّم الكوكب ، والمشروع كله بالتالى .

قال (نور) فى صرامة :

ـــ كان عليك أن تنقلها ، أو تتذكّرها أوّلًا على الأقل .

ارتبك (نبيه) ، وهو يغمغم :

ـــ لقد كان مصرع الدكتور (على) يربكنى و ....

قاطعه (نور) وهو يلوّح بكفّه ، قائلًا :

— لا عليك .. إننى واثق الآن من براءتك .. فلو أنك القاتل ما ذكرت أمر تلك الإحداثيات أبدًا ، ولادَّعيْت أن كل شىء كان يسير على ما يرام .

ثم استطرد فى صرامة :

— ولكن الدكتور (على) لم يقض نحبه لسبب طبيعى ، وأنا واثق من أنه قد قُتِلَ أو .....

قاطعه صوت هادئ يقول :

— لا تتعجَّل النتائج يا (نور) .. ليس هذا ما علَّمتك إيَّاه .

التفت (نور) و (رمزى) إلى مصدر الصوت ، وتطَّلع (نبيه) فى حَيْرة إلى صاحبه ، ذى الوجه المربَّع الهادئ ، والعينين العسليتين الضيِّقتين ، والذى هتف (نور) حين رؤيته :

— دكتور (حجازى) ؟!.. مرحبًا بك يا سيِّدى .

ابتسم الدكتور (محمد حجازى) كبير الأطباء الشرعيين فى هدوء ، وهو يقول :

— مرحبًا بك يا (نور) .. أعتقد أن نتائج بحثك ستكون

أكثر دقَّة ، لو انتظرت نتائج فحصى لجثة الدكتور (على) (رحمه الله) .

غمغم (نور) فى حماس :

— بالطبع يا سيِّدى .

ثم أردف فى صرامة :

— وسيكون هذا من سوء حظِّ القاتل ، الذى نبحث عنه .

* * *



٤ ـــ التحقيق ..

عقد الدكتور (شوقى) حاجبيه ، وتطلَّع إلى (نور) وفريقه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ حديثك هذا بالغ الخطورة أيها الرائد .. إنك تتَّهم أحد علماء المركز بقتل الدكتور (على) ، قبل أن تمتلك دليلًا على أنه قد لقى مصرعه قتلًا .

انتقل غضبه إلى علماء المركز الثلاثة ، الدكتور (سامى) ، والدكتور (وليد) ، والدكتور (أشرف) ، فى حين قال (نور) فى هدوء :

ـــ سنحصل على الدليل الذى تنشده ، فور انتهاء الدكتور (حجازى) من فحص الجثة يا دكتور (شوقى) ، ولن أضيع الوقت حتى ....

قاطعه الدكتور (وليد) فى حِدَّة :

ـــ لن نضيع نحن أيضًا وقتنا أيها الرائد .. احصل على الدليل أولًا ، ثم ....

قاطعه (نور) هذه المرَّة ، قائلًا فى صرامة :

ـــ إننى لم أتَّهم أحدًا بعد يا دكتور (وليد) ، ولكن الحادث يسىء إلى المركز كله ، وستتعاونون جميعًا على حلِّ غموض مصرع الدكتور (على) ، شئنا أم أبينا .

قال الدكتور (سامى) فى حِدَّة :

ـــ يمكننا أن نتعاون لو أوقفت أسلوبك هذا أيها الرائد .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ أى أسلوب يا سيِّدى ؟ .. لقد كنت أشكُّ فى (نبيه) ، مساعد الدكتور (على) ، الذى يعاونه فى الإشراف على المشروع .. ولكن صديقنا ورفيقنا (رمزى) ، وهو خبير فى الطب النفسى ، وعلم (الفسيونومى) ، أى دراسة الملامح البشرية ، قد أكَّد أن (نبيه) برىء ، وصادق فى أقواله .. ولمَّا كان الشخص الذى قتل الدكتور (على) قد تسلَّل بالضرورة إلى قاعته الخاصة ، فلقد سألت (نبيه) عمَّا إذا كان قد غادر موقعه ، خلال وجود الدكتور (على) فى عالمه .. فأجاب أنه فعل لمدة عشر دقائق فقط .. ولا شك أن القاتل قد استغلَّ هذه الدقائق العشر لارتكاب جريمته .

هتف الدكتور (أشرف) فى غضب :

ــ وهذا القاتل هو أحدنا .. أليس كذلك ؟
هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :
ــ هل لديك تفسير آخر يا دكتور (أشرف) ؟.. إن دخول المركز محظور ، إلّا بالنسبة للعلماء والعاملين فيه ، ولحاملى التصاريح الخاصة .. ولمّا لم يكن بالمركز ــ لحظة الجريمة ــ سواكم ، فلا ريب أن أحدكم هو الفاعل .
تبادل العلماء الأربعة نظرات الغضب ، وهتف الدكتور (شوق) فى حنق :
ــ كفَى أيها الرائد .. إن حديثك ينطوى على الوقاحة .
ابتسم (نور) ، وهو يقول فى برود :
ــ الوقاحة ؟!.. إننا نحقّق فى جريمة قتل يا سيِّدى ، ولا مجال للوقاحة هنا .. فكل ما يجول بخاطرى سألقيه عليكم بلا تردُّد ، وسأنتظر إجاباتكم بكل اهتمام .
نهض الدكتور (أشرف) فى حركة حادة ، وهو يقول :
ــ كما يحلو لك أيها الرائد ، ولكننى لن أنتظر لحظة واحدة إضافية .. فلقد تسلَّمت مشروع الدكتور (على) (رحمه الله) ولن أضيع عالمًا بأثره ؛ لأنك ترغب فى إشباع ساديتك .
تجاهل (نور) عبارة الدكتور (أشرف) الجارحة ، وهو يقول فى هدوء :

ــ ألا يمكنك أن تنتظر نصف ساعة فقط ؟.. لقد وعدنى الدكتور (حجازى) بـ .....
قاطعه الدكتور (أشرف) فى حِدَّة :
ــ هذه النصف الساعة ، تساوى ستين يومًا من حياة كوكبنا الصغير أيها الرائد ، وهو زمن لا ينبغى إضاعته من أجل حماقة رائد صغير بالمخابرات العلمية .
ولوّح بذراعه ، وهو يردف فى سخط :
ــ خاصة وهو لا يمتلك الدليل على وجود جريمة بعد .
قاطعه صوت صارم يقول :
ــ خطأ يا دكتور (أشرف) .. لقد قضى الدكتور (على) نحبه قتلًا .
التفت الجميع إلى مصدر الصوت الصارم فى دهشة ، ثم ارتسم الارتياح على وجه (نور) ، وهو يقول :
ــ شكرًا يا دكتور (حجازى) .. لقد وصلت فى الوقت المناسب .
ثم التفت إلى العلماء الأربعة ، مستطردًا فى صرامة :
ــ ها هوذا الدليل أيها السادة .

* * *

تعلَّقت عيون الجميع بشفتي الدكتور (حجازى) ، الذى بدا قلقًا ، مرتبكًا ، متوترًا ، وهو يتخذ مقعدًا إلى جوار (نور) ، ويقول :

— لست أدرى كيف ارتكب القاتل جريمته ، ولا نوع السلاح الذى استخدمه .. ولكن الدكتور (على) لم يلق مصرعه قضاءً وقدرًا بالتأكيد .

تضاعف اهتمام الجميع وقلقهم ، إزاء كلمات الدكتور (حجازى) ، الذى استطرد فى توتُّر :

— حينما بدأت فحص جثة الدكتور (على) (رحمه الله) ، كانت كل الدلائل تشير إلى أن الوفاة قد حدثت بسبب نزيف مفاجئ بالمخ ، يمكن أن يحدث تحت تأثير أى انفعال قوى ، كالحزن العنيف ، أو الفرح الشديد .. ودار بخلَدِى أن الانفعال الذى اجتاح نفس الدكتور (على) ، وهو يعلن نجاح مشروعه فى مؤتمره الصحفى قد تضاعف فجأة ، وهو يحقِّق نجاحًا آخر فى أثناء عمله ، مما تسبَّب فى رفع ضغط دمه إلى درجة خطيرة ، فانفجرت شرايين مخه ، وقضى نحبه .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، عقد فيها حاجبيه ، على نحو وصل بانفعال الجميع إلى ذروته ، قبل أن يتنهَّد فى حَيْرة ، قائلاً :

— هذا ما تصوَّرته فى البداية .

وتنهدَّ مرَّة أخرى ، ثم استطرد فى توتُّر :

— ثم بدأت فى فحص المخ والجمجمة ، لأتأكَّد مما ذهبت إليه .. وهنا أصابنى الذهول .

شعرت (سلوى) أن ضغط دمها هى هو الذى ارتفع ، من شدة فضولها ولهفتها واهتمامها ، حتى أنها كادت تصرخ فى اعتراض واستنكار ، حينما صمت الدكتور (حجازى) لحظة أخرى ، ولكنه أسرع يقول :

— كان المخ ممزَّقًا ، مهترئًا إلى درجة مخيفة ، وشرايين الدماغ الداخلية كلها محترقة ، جافة على نحو بشع ، وخلايا المخ الذائبة تختلط بالدماء السوداء على صورة لم أرها طوال حياتى وعملى مطلقًا .

زاد انفعاله ، وهو يستطرد :

— لم تكن هناك خليَّة واحدة سليمة ، صالحة للفحص ، حتى باستخدام الميكروسكوب الأيونى ، الذى يضاعف الصورة مليونى مرَّة .. كان التمزُّق كاملًا ، تامًّا ..

لهث الجميع من فرط انفعالهم ، وهو يردف :

— كان الأمر بالنسبة إلىَّ مذهلًا ، خاصَّة وأنا أعمل

بالطبّ الشرعىّ منذ عام ألف وتسعمائة وثلاثة وثمانين ، أى منذ ما يقرب من أربعة وعشرين عامًا ، دون أن تواجهنى حالة واحدة كهذه .. فحتى حينما يتعرَّض شخص ما لحادث عنيف ، يهرس مخه هرسًا ، يمكننى أن أجد عشرات الخلايا التى يمكن فحصها .. أما فى هذه الحالة ، فلم أجد خليَّة واحدة .. فانتقلت إلى فحص الجمجمة بكل اهتمام وعناية ، حتى عثرت ، بين الحاجبين تمامًا ، على ثقب بالغ الدقة ، يكاد يختفى وسط انبعاجات العظام الداخلية ، فتملكتنى الحَيْرة ، وشعرت أننى عجزت لأول مرة عن تفسير سبب الوفاة .

غمغم (رمزى) فى إحباط :

ـ يا إلهى !!.. فشلت ؟

ولكن الدكتور (حجازى) أسرع يردف فى انفعال :

ـ كنت قد وصلت إلى اليأس التام ، حينما انبعث أزيز مفاجئ ، جعلنى أنتفض فى قوة ، وأحدِّق فى الجثة بذهول .

سأله (نور) فى دهشة :

ـ أى أزيز هذا ؟

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ أزيز جهاز الفحص الإشعاعى .. لقد كنت أعبث

بالجهاز فى شرود ، وأنا أحاول حصر ذهنى للبحث عن السِّر ، فأشعلته دون أن أدرى ، ليكشف لنا السِّر .

بدا (محمود) شديد الانفعال والتوتُّر ، وهو يقول :

ـ وما صلة الفحص الإشعاعى بذلك يا دكتور (حجازى) ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى انفعال مماثل :

ـ صلة عجيبة يا فتى .. لقد كانت الجمجمة ، وبقايا المخ والأنسجة المهترئة تحمل إشعاعًا ذريًّا .

هتفت (سلوى) فى ذهول :

ـ إشعاعًا ذريًّا ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم يا (سلوى) .. لقد استخدم القاتل سلاحًا عجيبًا ، لم أسمع بمثله من قبل .. سلاحًا يطلق قذيفة بالغة الصغر ، هى فى الواقع قنبلة ذرِّيَّة دقيقة .

ارتسم الذهول فى عيون الجميع ، وارتفع حاجبا الدكتور (شوقى) وهو يهتف :

ـ ولكن هذا السلاح ...

ثم التفت نحو الدكتور (أشرف) ، الذى بدا شاحبًا ، ممتقع الوجه ، وقال فى حِدَّة :

ـ إنه مشروعك يا دكتور (أشرف) .

استدارت عيون الجميع إلى الدكتور (أشرف) ، الذى اختنق صوته ، وهو يغمغم فى شحوب رهيب :

ـ نعم .. إنه السلاح الذى اخترعته أنا يا دكتور (شوقى) .

* * *



٥ ـ وعادت اللَّعنة ..

ساد صمت ثقيل بعد عبارة الدكتور (أشرف) ، وتعلَّقت به عيون الجميع ، وهو يزداد شحوبًا وامتقاعًا ، فى حين سأله (نور) فى صرامة :

ـ ما قولك فى هذا الأمر يا دكتور (أشرف) ؟

ازدرد الدكتور (أشرف) لُعابه فى صعوبة ، قبل أن يقول فى صوت مختنق :

ـ ليس هناك ما يمنع الدخول إلى معملى ، واستغلال سلاحى الجديد أيها الرائد .

ابتسم (نور) فى خُبْثٍ ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت تعترف ضمنيًا بوجود جريمة قتل .

لوَّح (أشرف) بذراعه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ لم يعُد هذا يحتاج إلى اعتراف أيها الرائد .. لقد أثبت طبيبكم الشرعى ذلك .. ولكن هذا لا يعنى أننى قتلت الدكتور (على) .. ماذا يفيدنى قتله ؟

قال (رمزى) فى هدوء :

ــ لقد حصلت على حقِّ إتمام مشروعه بالفعل يا دكتور (أشرف) .

صاح (أشرف) فى حدَّة :

ــ ومن قال إن هذا يسعدنى ؟.. إنــه مشروع شاقّ متعب ، وأنا أعمل به لفترة مؤقتة ، حتى لا يتوقَّف الكوكب الصغير عن التطوُّر والنُّمو ، وحتى يتسلَّم فريق من المتخصِّصين المشروع .

غمغم الدكتور (شوقى) فى توتُّر :

ــ هذا صحيح .

أجاب (نور) فى برود :

ــ هناك فائدة لم تناقشها بعد أيها السادة .. فأيَّة دولة منافسة يمكنها أن تدفع مبلغًا ضخمًا ، مقابل قتل الدكتور (على) ، وإفساد المشروع .

احتقن وجه الدكتور (أشرف) ، وهو يقول :

ــ لن يفشل المشروع أيها الرائد .

ثم اندفع نحو باب الحجرة ، مستطردًا فى حِدَّة :

ــ لن يفشل مهما حدث .

وغادر الحجرة فى حركة حادَّة ، فهتفت (سلوى) فى دهشة :

ــ هل ستتركونه يفرّ ؟

أجابها (نور) ، وهو يبتسم فى هدوء :

ــ لن يفرّ يا عزيزتى .. سيذهب إلى عالم الدكتور (على) الصناعى .

عادت تهتف فى مزيج من الدهشة والجزع :

ــ وماذا لو استغلّ الفرصة لإفساده ؟

تبادل الجميع نظرات القلق ، عدا (نور) ، الذى قال فى هدوء :

ــ لن يفعل يا عزيزتى ، لن يجرؤ أن يفعل ، وإلَّا كان هذا اعترافًا منه بالجريمة .. إنه على العكس ، سيبذل كل جهده لنجاح المشروع ، حتى ينفى عن نفسه التُّهمة .

ثم استطرد فى صرامة :

ــ وخلال ذلك سيناقش فريقنا الأمر أيها السادة .. ولْيَحْذر القاتل ، فلن يجد لدينا ذرَّة واحدة من الرحمة ، حينما نُوقع به .

* * *

ارتفع حاجبا (نبيه) فى دهشة ، حينما اندفع الدكتور (أشرف) إلى حجرته ، وهو يلتقط قناع الأكسوجين ، قائلًا فى صرامة :

ــ هل أعددت كل شىء يا (نبيه) ؟

أجابه (نبيه) فى حَيْرة :

ــ نعم يا دكتور (أشرف) .. كل شىء مُعدّ دائمًا ، ولكن .....

قاطعه الدكتور (أشرف) فى حِدّة :

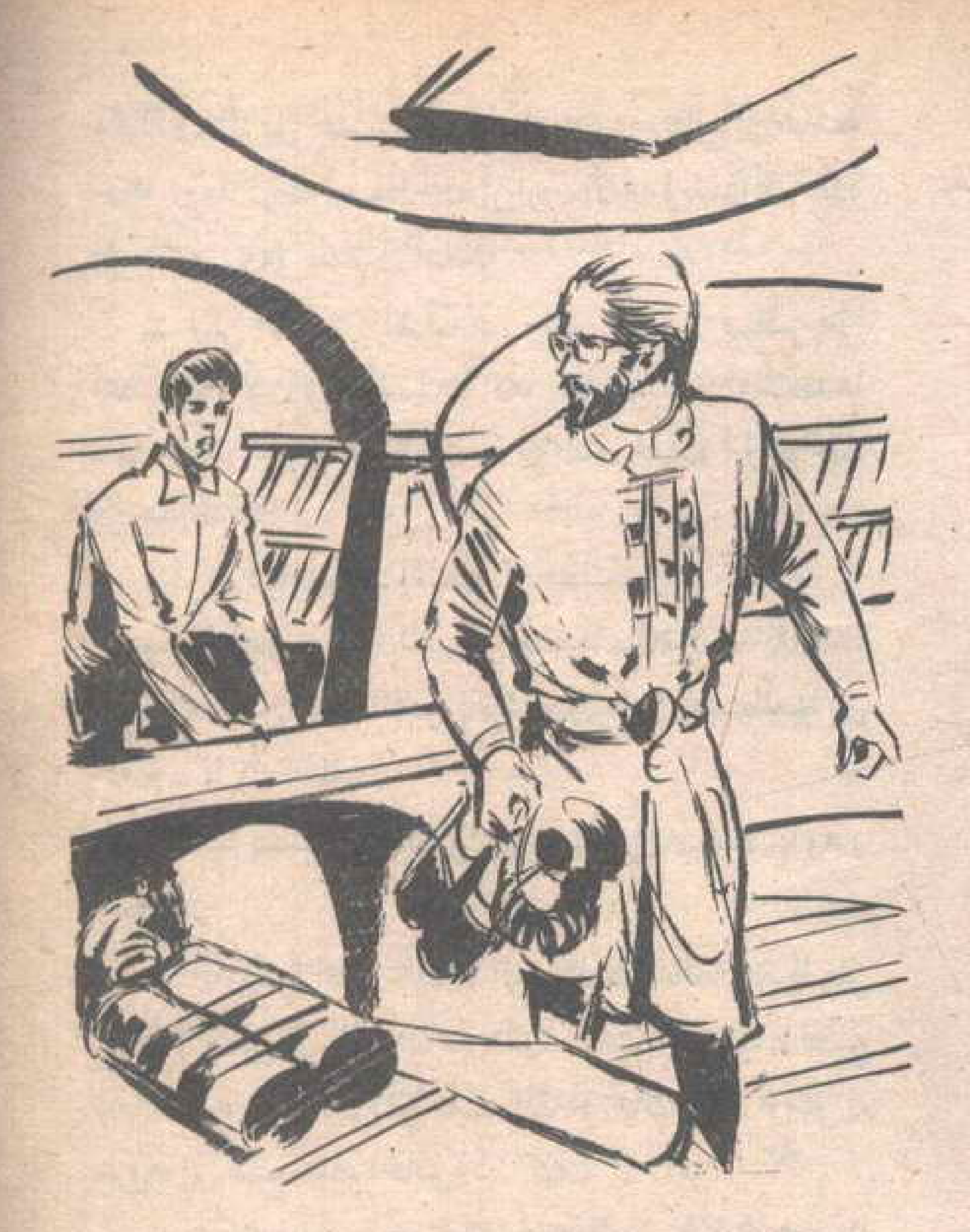
ــ ابدأ العمل إذن .

ثم اندفع إلى حجرة التعقيم ؛ وعَبَرها فى خطوات سريعة ، وضوءُها البنفسجى الهادئ يغمره تمامًا ، وبدا ثائرًا مهتاج الأعصاب ، وهو ينتظر ظهور الضوء الأصفر .. ولم يكد يراه حتى دفع باب القاعة ، ودلف إلى العالم الصناعى العجيب ، وهو يزفر فى غضب ، وأغلق الباب خلفه فى حذر ..

وعلى الرغم من غضبه وحنقه ، وقف لحظة يتطلّع إلى الكوكب الصغير فى انبهار ، ثم عاد يعقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ــ هؤلاء الحمقَى !!

ضاعت غمغمته الساخطة وسط فراغ العالم الصناعى ،



ارتفع حاجبا (نبيه) فى دهشة ، حينما اندفع الدكتور (أشرف) إلى حجرته ، وهو يلتقط قناع الأكسوجين ..

وتحرك فى توتُّر إلى حيث الكمبيوتر الضخم ، وتطلَّع إلى شاشته لحظة ، ومدَّ ذراعه ليضغط أحد أزراره ، إلَّا أنه لم يلبث أن أعاده إلى جواره ، وهو يتمتم فى أعماقه :

ــ ليس الآن يا (أشرف) .. ليس الآن .. سيطر على أعصابك أولًا ، وإلَّا أفسدت الأمر كله بتوتُّرك .. وسيجدها ذلك الرائد المغرور فرصة مناسبة للإطباق عليك ، وانتزاعك من هذا المكان .

وزفر فى قوة ، وعاد يغمغم بلا صوت :

ــ كم يبدو لى هذا المشروع سخيفًا ، أحمق .. أيَّة فائدة يجنيها العلم من معرفة تطوُّر كوكب الأرض .. فليتطلَّعوا إلى الأمام ، لا إلى الخلف .

التفت يتطلَّع إلى الكوكب الصغير فى سخط ، وهو يغمغم :

ــ أيَّة فكرة حمقاء تلك ، التى دفعت عالمًا عبقريًّا مثل الدكتور (على) ، إلى إضاعة عشر سنوات من عمره ، لصنع هذا الشىء ؟.. أكان يظن نفسه إلهًا أو خالقًا ؟!.. أوصل به غروره إلى صنع عالمه الخاص ؟.. كيف .....؟

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى نقطة ما ، ثم لم تلبث عيناه

أن اتسعتا فى رُعب وذُعر ، وتراجع إلى الخلف ، وهو يردِّد فى خوف طاغ :

ــ مستحيل !! هذا مستحيل !! ذلك الكوكب الملعون !! إنه .. إنه ....

وتعثَّر فجأة ، فسقط على ظهره ، وهو يطلق صرخة تجمع بين الدهشة والذُّعر ، وتجمَّدت عيناه فى ذهول ، ثم لم يلبث أن شعر بآلام مبرِّحة بين عينيه ، اللتين جحظتا فى شدة ، وهو يطلق صرخة ضاعت وسط الفراغ ، وسقط جثة هامدة ..

لقد عادت اللعنة ..

عادت لتقتنص ضحيتها الثانية ..

* * *

زفرت (سلوى) فى توتُّر وضيق ، وهى تلوِّح بكفِّها ، وتقول :

ــ مازلت أعترض على سماحكم له بالذهاب إلى المشروع ، والعمل به .. فقد يمكنه تدمير الكوكب الصغير ، والتعلُّل بأن ذلك قد حدث لقلَّة خبرته فى هذا المجال .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ لن يفعل يا عزيزتى .. أؤكِّد لك .

هتفت فى حَنَق :

ــ كيف تبدو واثقًا هكذا ؟

أشار إلى (رمزى) ، وهو يقول :

ــ اسألى طبيبنا النفسى .

التفتت فى حَيْرة إلى (رمزى) ، الذى قال فى هدوء :

ــ أنـــا الـــذى أشرت لـ (نور) بذلك خفيـــة يا (سلوى) .. فخبرتى تؤكد أن الرجل صادق فى قوله ، وأنه ليس قاتل الدكتور (على) .

هتفت فى حِدَّة :

ــ لِمَ لا نستجوب الجميع ، وننتهى من هذا اللُّغز إذن ، مادمت تكشف صدقهم وكذبهم بهذه السهولة ؟

أجابها (رمزى) ، وهو يبتسم فى هدوء :

ــ الأمر ليس بهذه السهولة التى تتصوَّرينها يا (سلوى) .. فحتى القاتل يمكنه أن يتحكَّم فى انفعالاتـه ، إذا ما واجـه استجوابًا عاديًّا ، ولكنه يفقد السيطرة عليها حينما يثور ، تمامًا مثلما يحدث لشخص يحاول إخفاء عيب ما فى داخله ، أو فى نطقه ، فيحافظ على كلماته ، وينتقيها فى عناية ، مادام يسيطر على أعصابه ، ولكنه يكشف نفسه إذا ما انفعل فجأة .

قالت فى حِدَّة :

ــ يمكننا أن نثيرهم و ....

قاطعها فى هدوء :

ــ أخشى أن ذلك لم يعُد ممكنًا فقد ثار (نبيه) ؛ لأنه كان أول من نواجهه بشكوكنا فى أن الدكتور (على) قد قُتِلَ .. وثار الدكتور (أشرف) ؛ لأن أصابع الاتهام كانت تتجه إليه بلا رحمة .. أما الآن فسيتخذ القاتل حذره ، ولن يمكننا إثارته بمثل هذه السهولة ، فلقد أصبح يتوقَّع كل شىء ..

زفرت فى حنق ، وهى تغمغم :

ــ من القاتل إذن ؟

انفرجت شفتا (نور) ، وكأنه يهمّ بنطق كلمة ما ، لولا أن اندفع (نبيه) إلى الحجرة ، وهو يهتف فى ذُعر :

ــ لقد لقى الدكتور (أشرف) مصرعه أيها السادة .. لقى مصرعه بالطريقة نفسها .

* * *

تعلَّقت عيون الجميع مرَّة أخـرى بوجـه الدكتـور (حجازى) ، وهو يدلف إلى مكتب الدكتور (شوق) ، وملامحه تشفّ عن الضِّيق ، وسأله (نور) فى اهتمام :

ـ أهى نفس الوسيلة يا دكتور (حجازى) ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى ضيق :

ـ نعم يا (نور) .. نفس خلايا المخ المهترئة ، والشرايين المحترقة ، ونفس الانبعاث الإشعاعى .. إنه نفس السلاح أيها السادة .

هتف الدكتور (وليد) فى توتُّر :

ـ يا للبشاعة !!.. إننى لم أعد أحتمل ذلك .. لم أعد أحتمل ذلك الكوكب الملعون .

تأمّله (نور) لحظة ، ثم التفت إلى (نبيه) ، وسأله :

ـ هل غادرت موقعك هذه المرّة أيضًا ؟

تردَّد (نبيه) ، قبل أن يغمغم :

ـ لقد ذهبت إلى حجرتى ، فلم يكن هناك ما أفعله .

صاح الدكتور (شوقى) فى حَنَق :

ـ إنه إهمال شنيع يا (نبيه) .. إن عملك يقتضى عدم مغادرتك المكان ، مادام أحد العلماء يجرى تجاربه داخله ، ستعاقب من أجل ذلك .

شحب وجه (نبيه) ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـ لقد غادرت المكان لعشر دقائق و ....

صاح الدكتور (شوقى) فى غضب ، مقاطعًا إيَّاه :

ـ عشر دقائق ؟!.. دائمًا عشر دقائق .. وكل الكوارث تحدث فى هذه الدقائق العشر .

أشار إليه (نور) أن يهدأ ، وهو يسأل (نبيه) :

ـ أين تقع حجرتك يا (نبيه) ؟

أجابه (نبيه) فى توتُّر :

ـ فى نهاية الممرّ نفسه .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ هل رأيت أحد العلماء يعبُر الممرّ ، وأنت فى طريقك إلى حجرتك ؟

ارتبك (نبيه) ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. أعنى لا .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ من رأيت يا (نبيه) ؟

تردَّد (نبيه) ، وهو يختلس النظر إلى أحد العلماء فى خوف ، فصاح به (نور) :

ـ من رأيت ؟

أشار (نبيه) إلى أحد العلماء ، وهو يغمغم فى اضطراب :

ــ الدكتور (شوق) أيها الرائد .. لقد رأيته يسرع نحو قاعة العالم الصناعى ، قبل أن أغلق باب حجرتى .

شحب وجه الدكتور (شوق) ، وهو يهتف :

ــ أنا ؟!

واجهته نظرات (نور) الصارمة الباردة ، فخفض عينيه ، وهو يستطرد فى استسلام :

ــ حسنًا .. حسنًا .. إننى أعترف .

* * *



٦ ــ جريمة علمية ..

جاءت إجابة الدكتور (شوق) أشبه بصاعقة ، هبطت على رءُوس الجميع .. وتطلَّعت إلية (سلوى) ، وهى تهتف فى ذهول :

ــ تعترف ؟!.. أتعترف بقتلك العالمين ؟!

هتف فى جزع ، وقد اتسعت عيناه فى ذُعر :

ــ كلَّا يا سيِّدتى .. لقد أسأت فهم كلماتى .. إننى أعترف بالذهاب إلى القاعة فحسب ، وليس بارتكاب جريمتى قتل .

قال (نور) فى هدوء :

ــ لا فارق يا دكتور (شوق) .. لقد كنت الوحيد الذى يمكنه ارتكاب الجريمة الأخيرة على الأقل .

صاح الدكتور (شوق) فى توتُّر بالغ :

ــ ولكننى لم أَلِج القاعة قط .. لقد ذهبت إلى هناك ؛ لأطمئن إلى أن توتُّر أعصاب الدكتور (أشرف) (رحمه الله) لن

تفسد التجربة .. ولمّا لم أجد (نبيه) فى حجرته ، تصوّرت أنه يعمل مع الدكتور (أشرف) فى القاعة ، فعدت أدراجى ، دون أن أدخل إلى القاعة نفسها .. أقسم أن هذا كل ما حدث .

أطلّ الشك من عيون الجميع ، فاستطرد الرجل فى حِدّة :

ـ ثم إنك أنت نفسك قلت إن القاتل فى ظل تقدّمنا العلمى ، يمكنه أن يرتكب جريمته ، دون أن يذهب إلى مسرح الجريمة قط .

عقد (نور) حاجبيه فى قوة ، وكأنما أغرقته العبارة الأخيرة فى تفكير عميق ، وصمت لحظة شاركه فيها الجميع ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـ أنت على حق يا دكتور (شوق) .

ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) يسأله :

ـ كيف وجدت جثة الدكتور (أشرف) ، حينما دخلت إلى العالم الصناعى يا سيّدى ؟

أجابه الدكتور (محمد حجازى) فى اهتمام :

ـ إذا كنت تقصد وضع الجثة ، فقد كان ساقطًا على ظهره ، ورأسه أسفل الكمبيوتر الضخم ، فى حين كانت قدماه فى اتجاه الكوكب الصغير .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ـ إذن فقد أصابته تلك القذيفة الذريّة ، وهو يواجه الكوكب الصغير .

سأله الدكتور (وليد) فى قلق :

ـ ما الذى تتعشّم التوصّل إليه أيها الرائد ؟

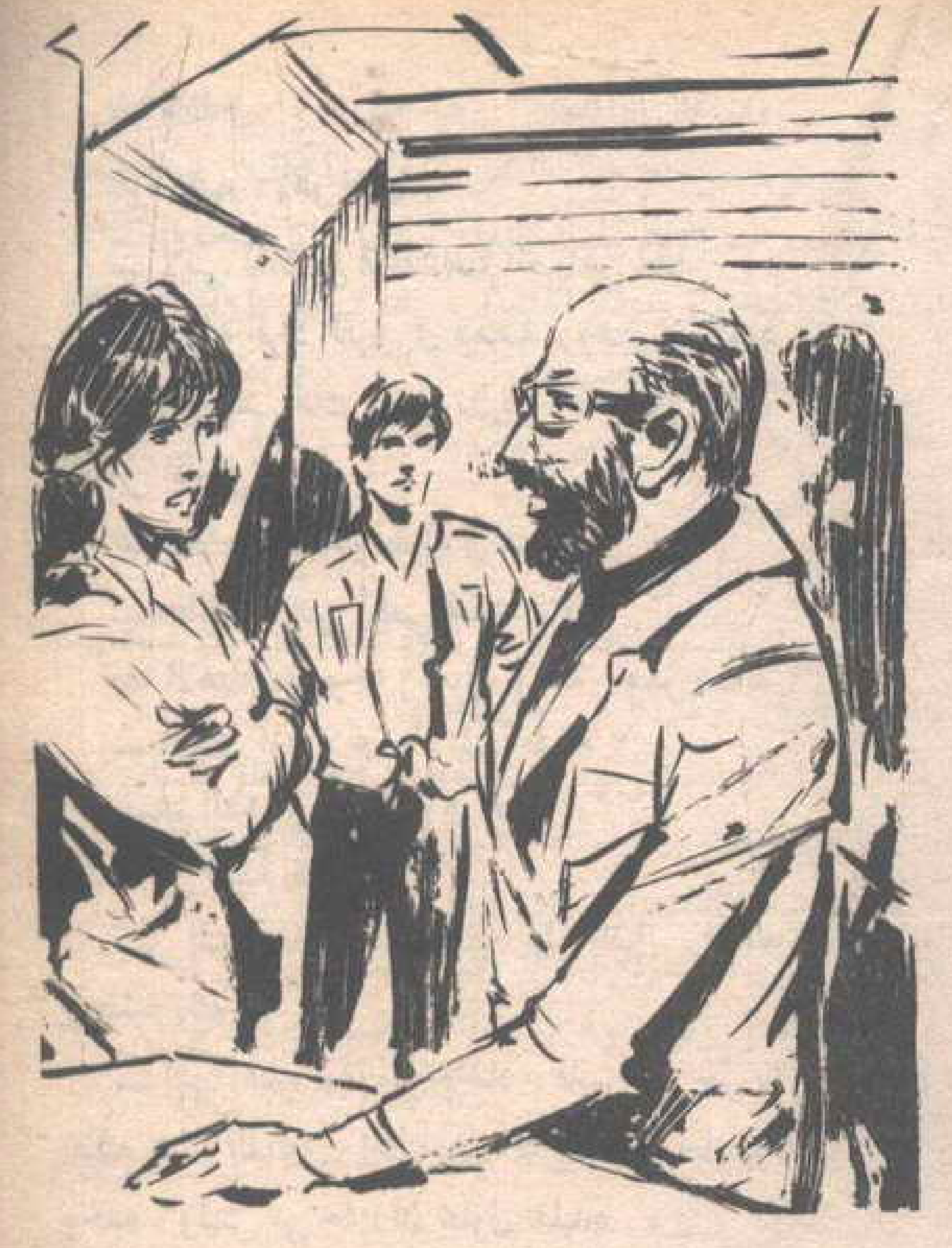
التفت إليه (نور) فى هدوء ، وقال :

ـ إنها مجرّد نظرية ، لم تكتمل بعد يا دكتور (وليد) .

ثم لوّح بسبّابته مستطردًا :

ـ دَعُونا نعود إلى الفرضية الأولى ، ونتصوّر أن دولة معادية قد قررّت أن تبذل قُصارى جهدها ، لإفشال مشروع الدكتور (على) ، الذى يبحث تطوّر الأرض .. ودفعها قرارها هذا إلى البحث عن شخص يمكن شراؤه ، ليقوم بالعمل وحده ، نظير مبلغ ضخم .. ولنفترض أن تلك الدولة المعادية قد عثرت على بُغيتها ، فى شخص أحد العلماء العاملين فى مركز بحوث الفضاء الجديد .. ولنفرض أن هذا الشخص قد أعدّ خطّته بالذكاء الذى يميّز كل العلماء .

غمغم الدكتور (سامى) فى سخط ، وهو يقلّب شفته السفلى امتعاضًا :



ابتسم الدكتور (وليد) ، وهو يقول :
— هذا يجعلنى خارج دائرة الشُبهات على الأقل .

— مجرَّد فرضيات جدليَّة ، بلا دليل واحد .

تجاهل (نور) عبارته ، وأردف فى هدوء :

— سيكون على هذا الجاسوس أن يعدّ خُطَّة مدروسة فى إتقان ، بحيث يؤدى مهمته البغيضة ، دون أن تتطرَّق إليه الشُبهات ، وسيكون لديه الوقت ، والصلاحيات الكافية لدخول قاعة العالم الصناعى .

عاد الدكتور (سامى) يكرِّر فى استخفاف :

— مجرَّد فرضيات .

ومرة أخرى تجاهل (نور) عبارته ، وهو يتابع :

— ولو أننى فى موقع هذا الجاسوس ، لسرقت تصميمات سلاح الدكتور (أشرف) الجديد ، وطوَّرتها بحيث يمكننى إنتاج سلاح خاص ، يمكن إخفاؤه فى مكان ما من العالم الصناعى ، وتوجيهه من بعيد باستخدام موجِّه آلى ، بحيث أطلقه على رأس الدكتور (على) ، حينما يصبح وحده داخل القاعة ، فى حين أكون أنا بعيدًا عنها تمامًا .

ابتسم الدكتور (وليد) ، وهو يقول :

— هذا يجعلنى خارج دائرة الشُبهات على الأقل .

سألته (سلوى) فى اهتمام :

ـ لماذا ؟

هزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ـ لأننى لم أدخل قاعة العالم الصناعى أبدًا .

تطلَّع إليه أفراد الفريق فى دهشة ، وهتف (محمود) :

ـ هل تعنى أنك لم تلق نظرة واحدة على ذلك الإنجاز العلمى المذهل ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ مطلقًا .. إننى أرفض فكرته تمامًا .

بدا الاهتمام على وجه (رمزى) بغتةً ، وهو يسأله :

ـ أترفض المشروع ، أم المبدأ نفسه ؟

غمغم الدكتور (وليد) فى حِدَّة :

ـ بل المبدأ نفسه .

خُيِّل إليهم لحظة أنه سيكتفى بهذا القول ، إلَّا أنه اندفع يستطرد بغتةً :

ـ إننى أعتبره نوعًا من الإلحاد ، فليس من حقِّ بشرى أن يصنع عالمًا لذاته .. الخلق هو سمة الله (سبحانه وتعالى) وحْدَه ، وليس من حقِّنا أن نحاول تقليده .

هتف الدكتور (شوق) فى دهشة :

ـ ومن قال إننا نفعل ؟.. لقد خلق الله (سبحانه وتعالى) كل شىء من العدم ، أما نحن فنأخذ ما خلقه (سبحانه) ونصنع منه إنجازًا علميًّا جديدًا ، تمامًا ، كما صنعنا الطائرات والغواصات ، وسفن الفضاء .. إننا لا نخلق يا ولدى ، معاذ الله ، إننا نصنع فحسب .

ازداد انعقاد حاجبى الدكتور (وليد) ، وهو يقول فى مزيد من الصرامة :

ـ هذا رأيى .

ساد الصمت لحظة ، بعد عبارة الدكتور (وليد) الصارمة الأخيرة ، ثم قال (نور) فى هدوء :

ـ أعتقد أننى وفريقى سنفحص قاعة العالم الصناعى مرَّة أخرى أيها السادة .. فلقد أصبح لدينا ما نبحث عنه هذه المرَّة .

سأله الدكتور (سامى) فى سخرية :

ـ وماذا تتوقَّع أن تجد أيها الرائد العبقرى ؟

تجاهل (نور) رنة السخرية فى صوته ، وأجاب فى هدوء حازم :

ـ السلاح يا سيِّدى .. السلاح الذى قتل الدكتور (على) والدكتور (أشرف) .

* * *

بدا (نور) شديد الضيق والحَيْرة ، وهو يتحرَّك فى عصبيَّة واضحة ، داخل الحجرة التى منحها الدكتور (شوق) لأفراد الفريق ، حتى أن (سلوى) قالت فى قلق :

ـ لا تجعل الأمر يضايقك إلى هذا الحدّ يا (نور) .. لن تنهار نظريتك لمجرَّد أننا لم نعثر على السلاح فى القاعة .

تنهَّد (نور) وهو يقول :

ـ ولكننى واثق من أن أداة القتل لم تفارق القاعة يا (سلوى) ، فأين هى إذن ؟

تبادل أفراد الفريق نظرات الحَيْرة ، ثم قال (رمزى) :

ـ أعتقد أن نظريتك هذه المرَّة ليست مقنعة تمامًا يا (نور) .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ لِمَ ؟

لوَّح (رمزى) بكفِّه ، وهو يقول :

ـ ربَّما كانت نظريتك تفسِّر مصرع الدكتور (على) ، ولكن بِمَ تبرِّر مصرع الدكتور (أشرف) ؟

أجابه (نور) :

ـ لقد كان ينوى الاستمرار فى المشروع ، وفقًا للخطوات نفسها ، وكان من الطبيعى أن يتم التخلُّص منه يا (رمزى) .

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وهو يقول :

ـ ولكن لماذا بهذه السرعة ؟.. إن مثل هذا المشروع يحتاج لسنوات طويلة ، حتى يحقِّق الغرض منه .. فلِمَ لا يتم قتل الدكتور (أشرف) بعد أسبوع مثلًا ، أو شهر ، أو سنة ؟.. لماذا تخلَّص القاتل منه فى الوقت الذى تشتعل فيه الشكوك ؟

بدت الحَيْرة على وجه (نور) ، قبل أن يهتف فى توتُّر :

ـ ربَّما كان لدى القاتل ما يبرِّر ذلك .

كانت لهجته غير مقنعة ، حتى بالنسبة إليه ، فعاد يعقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ ولكنها جريمة قتل أيضًا .

انبرى (محمود) يقول :

ـ ولكن إذا كان (نبيه) ليس القاتل ، والدكتور (شوق) لم يلج الحجرة ، فمن القاتل إذن ؟.. وأين يخفى سلاح الجريمة ؟

تألَّقت عينا (نور) بغتة ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !!.. هناك مكان لم نبحث فيه يا رفاق .. مكان يصلح لإخفاء السلاح .

هتفت (سلوى) فى لهفة :

ــ أين يا (نور) ؟

ازداد تألق عينيه ، وهو يقول :

ــ الكوكب يا (سلوى) .. الكوكب الملعون ذاته .

* * *



٧ ــ محاولة ثانية ..

اتسعت عينا الدكتور (شوقى) فى مزيج من الدهشة والذُّعر ، وهو يهتف فى استنكار :

ــ تفحصون الكوكب ؟!.. هذا مستحيل .

بدا الضِّيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

ــ بالعكس يا سيِّدى .. إنه إجراء حتمىّ ، فالكوكب الصغير هو المكان الوحيد ، الذى يحتمل وجود السلاح داخله .

ضرب الدكتور (شوقى) سطح مكتبه بقبضته ، وهو يهتف فى حِدَّة :

ــ لا يمكننى أن أسمح لكم بفحص الكوكب الصغير ، فهذا أمر يحتاج إلى خبراء .

اندفعت (سلوى) تقول فى سخط :

ــ ونحن خبراء يا دكتور (شوقى) .. أنا خبيرة فى الاتصالات والتتبُّع ، وزميلى (محمود) إخصائى فى علم الأشعة و ....

قاطعها الدكتور (شوقى) فى حِدَّة :

ــ ومن منكم خبير فى علم الجيولوجيا ، أو طبقات الأرض ، أو التطوُّر .؟ هل يمكنك أن تخبرينى فى أى عصر ظهرت الزواحف على وجه الأرض ؟.. هل سمعت عن العصر (الكمبرى) ، أو ما قبل (الكمبرى) ؟.. هل يمكنك تقسيم الصور الجيولوجية ؟

قال (نور) فى هدوء :

ــ إننا لا نعلم شيئًا عن ذلك يا دكتور (شوقى) ، ولكننا نحتاج إلى فحص الكوكب الصغير للضرورة القصوى .

كاد الدكتور (شوقى) يهتف بعبارة أخرى ساخطة ، لولا أن قال الدكتور (سامى) فى هدوء :

ــ سأفحصه أنا أيها السادة .

التفتت العيون كلها إليه ، وغمغم الدكتور (شوقى) :

ــ أعتقد أن هذا أفضل .

ساد الصمت لحظة ، قبل أن يقول (نور) :

ــ هل تعتقد أنك ستجيد ذلك ، بأفضل مما قد نفعل نحن ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. فأنا خبير فى التصوير الميكروسكوبى ، ويمكننى أن أفحص سطح الكوكب الصغير كله ، كما لو كان كوكبًا حقيقيًا ، يتم فحصه بالأقمار الصناعية .

عاد الصمت يسود المكان لحظة أخرى ، تبادل خلالها أفراد الفريق نظرات ذات مغزى ، قبل أن يقول (نور) فى هدوء :

ــ لا بأس يا دكتور (سامى) ، سيصحبك زميلنا (محمود) و ....

قاطعه الدكتور (سامى) فى صرامة :

ــ لا .. سأفحصه وحدى .

هتف (نور) فى حِدَّة :

ــ لماذا ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

ــ هذا شأنى .. إن التصوير الميكروسكوبى علم دقيق ، يحتاج إلى الهدوء ، والدِّقة ، ووجود أحدكم إلى جوارى سيَمْنَحنى شعورًا بأننى مراقب ، وستثور أعصابى ، ويفشل كل شىء .

أراد (نور) أن يعترض مرَّة أخرى ، إلَّا أن الدكتور (شوقى) قال فى حزم :

ــ فليقم بالعمل وحده ، هذا أفضل للجميع .

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى الدكتور (سامى) ، فى حين عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى مزيج من الصرامة والبرود :

ــ فليكن يا دكتور (سامى) .. فلتقم بالعمل وحدك ، ولكننى سأطالبك بكل النتائج ، ولن أغفر لك التقصير أبدًا .

وبدا صوته أشد قسوة من الفولاذ ، وهو يستطرد فى برود :

ــ أبدًا .

* * *

ارتدى الدكتور (سامى) قناع الأكسوجين والمعطف الطبىّ الواق ، وقال لـ(نبيه) فى هدوء :

ــ سنقوم اليوم بالتصوير الجوّى يا (نبيه) .. هل لديك خبرات كافية فى هذا المجال ؟

ابتسم (نبيه) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ نعم يا دكتور (سامى) .. لقد أجرى الدكتور (على) (رحمه الله) هذا الأمر مرّتين .

أومأ الدكتور (سامى) برأسه علامة على الفهم ، ثم لوّح بكفه ، وقال :

ــ حسنًا .. ستكون هذه هى المرّة الثالثة ، ولكننا سنجرى تعديلًا جوهريًا .

سأله (نبيه) فى اهتمام :

ــ أى تعديل يا سيّدى ؟

مطّ شفتيه ، وهو يقول :

ــ سأضيف إلى قناع الأكسوجين جهاز اتصال قوى ، يمكّننا من تبادل الحديث وقت اللزوم ، وستلتزم أنت بالبقاء هنا ، ولن تغادر الحجرة ، كما حدث فى المرّتين السابقتين ، مهما كانت الأسباب .

غمغم (نبيه) فى حَيْرة :

ــ وفيمَ تفيد هذه التعديلات يا سيّدى ؟

تمتم الدكتور (سامى) فى صرامة :

ــ سنتحاشى الأخطار السابقة على الأقل .

وقبل أن يتفوّه (نبيه) بكلمة زائدة ، دلف الدكتور (سامى) إلى حجرة التعقيم ، وأغلق بابها خلفه فى إحكام ، وتحرّك فى خطوات هادئة تحت الضوء البنفسجى الهادئ ، حتى وصل إلى باب القاعة ، فانتظر فى صبر حتى أضاء الضوء الأصفر ، ثم دفع الباب فى هدوء ، ودخل إلى القاعة ، وأغلقها خلفه فى إحكام ..

ودون أن يلقى بالًا إلى الكوكب الصغير ، اتجه إلى ركن

القاعة ، والتقط آلات التصوير المكيروسكوبى ، وعَبَر الفضاء الصناعى ، محاذرًا لمس النجوم الصغيرة ، ثم بدأ يثبِّت الآلات على بعد متر واحد من الكوكب الصغير ، وابتسم حينما رأى الكوكب يبتعد عنه ، وهو يكمِّل دورته حول شمسه الصناعية ، وغمغم فى سخرية :

— لن يمكنك الفرار إلى الأبد أيها الصغير ، ستعود إلى هنا بعد دقيقة واحدة .

فوجئ بصوت يقول عَبْر جهاز الاتصال :

— ماذا تعنى يا دكتور (سامى) ؟

تنبَّه فجأة إلى أن جهاز الاتصال ، المثبَّت بقناع الأكسوجين ، قد نقل كلماته إلى (نبيه) ، فقال فى صرامة :

— لا عليك .. لقد كنت أحدِّث نفسى .

ثم أغلق جهاز الاتصال فى ضجر ، وعاد يصفّ آلاته ، وهو يغمغم :

— هكذا أفضل .

استغرق إعداد الآلات ربع ساعة ، استقرَّ بعدها الدكتور (سامى) على مقعد جهاز التصوير الميكروسكوبى ، وألصق عينيه بعدستى الجهاز ، وهو يقول فى ارتياح :

— والآن .. فلنبدأ العمل .

انتظر فى صبر قدوم الكوكب الصغير ، ووقوعه تحت عدساته ، ولم يكد يراه حتى بدأ يتطلَّع إلى سطحه فى اهتمام ، وسبَّابته تضغط زرّ التصوير ، ثم لم يلبث أن هتف فجأة :

— مستحيل !! يا إلٰهى !!.. إن هذا يفوق ما تصوَّرناه جميعًا .

اهتاجت مشاعره ، وأخذ يضغط زرّ التصوير فى انفعال وحماس ، وتناسَى تمامًا أنه قد أغلق جهاز الاتصال ، فأخذ يهتف :

— رائع !! رائع !! يا للعظمة !! لا يمكنك أن تتصوَّر ما أراه يا (نبيه) .. لقد كان الدكتور (على) عبقريًّا .. لقد صنع ما لم يصنعه بشر على وجه الأرض .. إننى لم أتصوَّر كل هذه الرَّوْعة !! إننى ....

بتر عبارته فجأة ، وارتجفت أطرافه ، وتلجَّت فى رُعب ، وتراجع فى مقعده ، وهو يهتف :

— لقد فهمت .. لقد فهمت كل شىء .. ولكن هذا مستحيل .. مستحيل يا (نبيه) .. لن يصدِّقنى أحد .. هذا الكوكب ملعون !! ملعون !!

اهتاجت مشاعره ، وأخذ يضغط زرّ التصوير فى انفعال وحماس ، وتناسى تمامًا أنه قد أغلق جهاز الاتصال ..

وفجأة .. قفز من مقعد آلة التصوير الميكروسكوبى ، وانطلق يعدُو عَبْر الفضاء الصناعى فى رُعب هائل ، وهو يصرخ :

ـ النَّجدة يا (نبيه) !! النَّجدة !!

والتصق بباب القاعة ، وهو يهتف فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ كلَّا .. كلَّا .. لن أقرب ذلك الكوكب الملعون !! لن أقربه أبدًا .

وجحظت عيناه فى شدة ، كأنما هو يتطلَّع إلى شبح بشع مخيف ، ثم رفع كفَّيه محاولًا حماية وجهه ، ولكن شيئًا ما ارتطم بجبهته ، وبعث فى نفسه آلامًا مبرِّحة ، أعقبتها صرخة مخيفة ، ارتجف لها جسده كله ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

لقد انتزع الكوكب الملعون ضحية ثالثة .



٨ ـــ المستحيل ..

تحرَّك الدكتور (شوق) عَبْر حجرته فى قلق واضح ، وهو يضمّ كفَّيه خلف ظهره ، ويعقد حاجبيه ، فى شدة ، وبدا الدكتور (وليد) متبرِّمًا ساخطًا ، فى حين حافظ (رمزى) على هدوئه ، واسترخى (نور) فى مقعده ، وبدت (سلوى) ضجرة قلقة ، أما (محمود) فقد اندفع يقول فى توتُّر :

ـــ ماذا يقلقك يا دكتور (شوق) ؟.. ألست تثق فى قدرات الدكتور (سامى) ؟

حَدَجَه الدكتور (شوق) بنظرة غاضبة ، وهو يقول :

ـــ وهل كنت أشكّ فى قدرات الدكتور (على) ، حينما لقى مصرعه ؟

غمغم الدكتور (وليد) فى سخط واضح :

ـــ أنا كنت أشكّ فى عبقريته .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، واعتدل (رمزى) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ لماذا ؟.. أما زلت تعتقد أن مشروعه مارق كافر ؟

أجابه الدكتور (وليد) فى عصبيَّة :

ـــ بل عديم الجدوى أيضًا .

رفع الدكتور (شوق) حاجبيه فى دهشة ، وهو يهتف فى استنكار :

ـــ عديم الجدوى ؟!.. كيف تقول ذلك يا دكتور (وليد) ؟.. هل نسيت كيف حار العلماء لقرون فى إثبات نظريات تطوُّر الأرض ؟ و ....

قاطعه الدكتور (وليد) فى حِدَّة :

ـــ ومن قال إن هذا المشروع السخيف سيقضى على حَيْرتهم ؟.

تضاعفت دهشة الجميع ، وهم يتطلَّعون إليه ، فى حين استطرد هو فى عصبيَّة :

ـــ لقد أخطأتم جميعًا ، حينما تصوَّرتم أن هذا الكوكب الصناعى سيتطوَّر على نفس النحو ، الذى تطوَّر به كوكبنا ، لمجرَّد أنكم منحتموه ظروفًا متشابهة .. هل نسيتهم أن نقطة واحدة ، أو عاملًا واحدًا لا ندركه ، قد يربك سلسلة التطوُّر كلها ؟.. هل نسيتم أن الزمن لا يعيد نفسه أبدًا ؟ وأن لكل

سلسلة تطوُّر ظروفًا خاصة تختلف عن غيرها ، مهما تشابهت الأسباب والمسبِّبات ؟.. من أدراكم أن هذا الكوكب الصناعى يحوز كل ظروف كوكب الأرض ؟.. قد يوافقه فى الظروف المناخية والجيولوجية ، ولكنه سيختلف عنه تمامًا فيما عدا ذلك .. هل نسيتم أن المخلوقات التى نشأت على سطح كوكب الأرض ، كان لها الفضل كله فى إكمال سلسلة التطوُّر ؟

هتف الدكتور (شوق) فى استنكار :

ــ أنت مخطئ ولا شك .. لقد تمت دراسة الـ....

قاطعه (نور) فى اهتمام :

ــ بل هو على حقٍّ يا دكتور (شوق) .. فمهما صنعنا من الظروف والمناخ ، فلن يمكننا أبدًا أن نحيط كوكبًا صناعيًّا ، بكل ما يتوافر لكوكب حقيقى ، ولن تتشابه سلسلة التطوُّر فى الاثنين أبدًا .

بدت الحَيْرة على وجه الدكتور (شوق) ، وهو يغمغم :

ــ ولكنه نتاج عشر سنوات من العمل الشاق الجادّ .

قال (نور) فى شرود :

ــ ولو .. لن تتشابه سلسلة التطوُّر أبدًا .

لاحظت (سلوى) شروده ، فسألته فى قلق :

ــ ماذا هناك يا (نور) ؟

تطلَّع إليها فى شرود ، ثم أشاح بوجهه وعينيه إلى سقف الحجرة ، وهو يغمغم :

ــ لا شىء يا عزيزتى .. لقد راودتنى فجأة فكرة عجيبة .. أقرب إلى المستحيل .

وارتجف صوته ، وسرَت فى جسده قُشَعْرِيرة عجيبة ، وهو يستطرد :

ــ بل هى المستحيل نفسه .

* * *

شعر (نبيه) بالقلق ، حينما طال غياب الدكتور (سامى) داخل القاعة ، فغمغم عَبْر جهاز الاتصال :

ــ هل أنهيت عملك يا دكتور (سامى) ؟.. هل انتهيت من التصوير ؟.

تضاعف قلقه حينما لم يحصل على جواب ، سوى الصمت التام ، فعاد يقول فى توتُّر :

ــ دكتور (سامى) .. هل تسمعنى ؟.. أجب .. أرجوك .

كان الجواب فى هذه المرَّة أيضًا هو الصمت المُطْبق .. فعقد (نبيه) حاجبيه ، وهو يغمغم فى قلق :

ـــ أأوقف الاتصال لانهماكه فى العمل أم ....؟

اتسعت عيناه فى ذُعر ، حينما راودته فكرة بديلة ، فنهض يلتقط قناع الأكسوجين ، ومعطفًا واقيًا ، وهو يغمغم فى توتُّر متزايد :

ـــ أعتقد أن أمر عدم مغادرتى المكان لا ينطبق على دخولى إلى القاعة .

وعَبَر ممرّ التعقيم فى خطوات سريعة ، وانتظر فى توتُّر حتى غمره الضوء الأصفر ، ثم دفع باب القاعة ، ولكنه وجد صعوبة فى ذلك ، حتى أنه أزاحه بكل صعوبة ، ليسمح له بالدخول .. ولم يكد يدخل القاعة حتى اتسعت عيناه فى ذُعر ، وهو يتطلَّع إلى جثة الدكتور (سامى) ، التى كانت تعُوق فتح الباب ، وهو يرقد على ظهره جاحظ العينين ، تشفّ ملامح وجهه عن رُعب شديد ، وارتجف (نبيه) ، وهو يغمغم :

ـــ يا للبشاعة !!.. هذا الكوكب ملعون !! ملعون بحقّ !!

وأدار عينين يملؤهما البغض والكراهية ، نحو الكوكب الملعون ، وهو يغمغم فى صوت تلاشى مع الفراغ :

ـــ لن يبقى هذا الكوكب الملعـون .. سأحطِّمـه .. سأحطِّمه مهما كان الثمن .

واتجه فى عزم نحو الكوكب الصغير ، وانتزع قطعة معدنية من آلة التصوير الميكروسكوبى ، ورفعها عاليًا ، وهو يهم بتحطيم الكوكب ..

وفجأة .. تصلَّبت ذراعه ، وامتلأ وجهه برعب هائل ، لا حدود له ، وتراجع فى ذُعر ، وهو يقول :

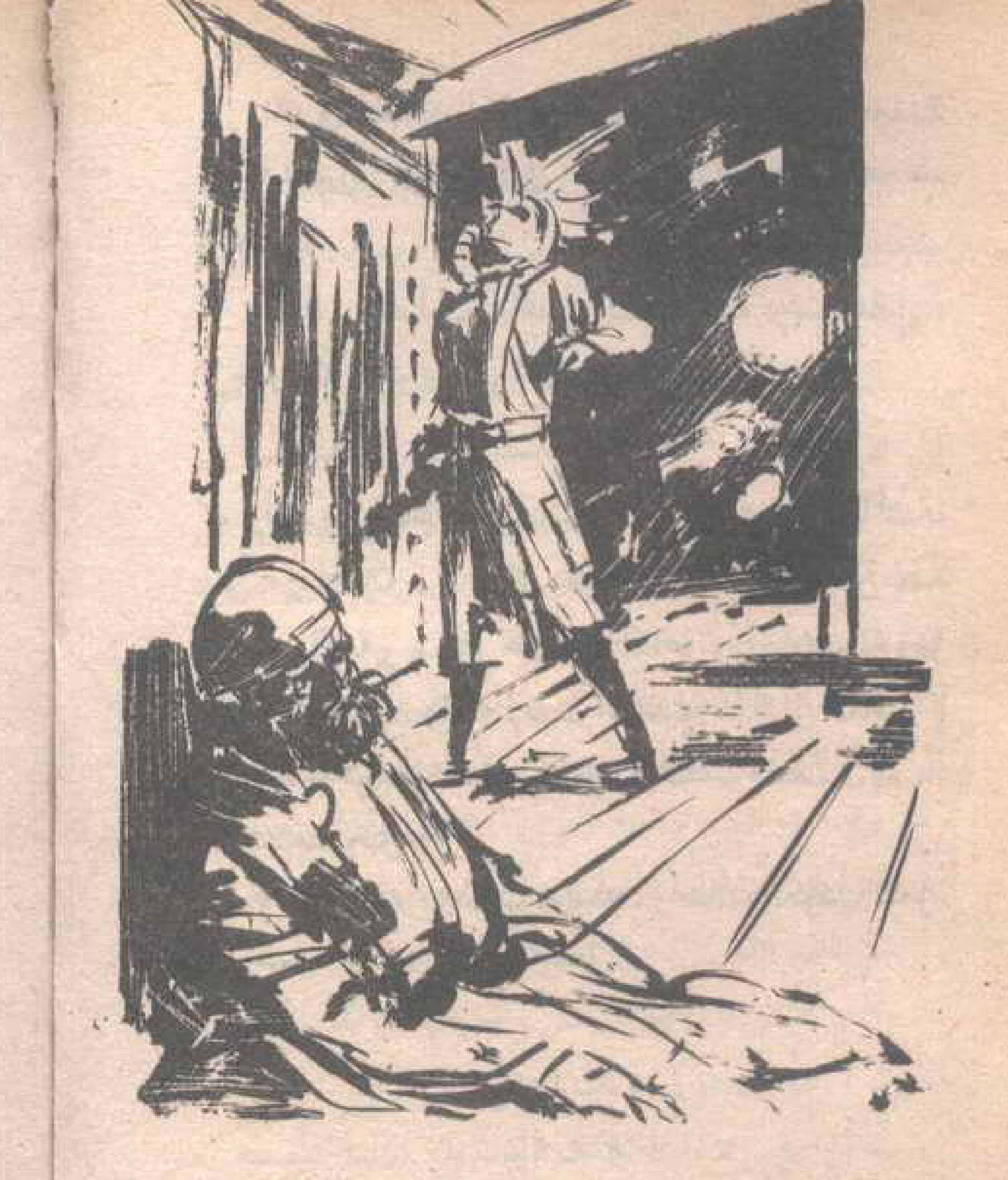
ـــ مستحيل !! إنه المستحيل !!

وأخذ يلوِّح بالقطعة المعدنية فى الهواء فى ذُعر ، وكأنما أصابه مسٌّ من الجنون ، ثم انطلق يعدُو محاولاً الإفلات من لعنة الكوكب الصغير ، وقفز عَبْر باب القاعة ، وأخذ يصرخ وهو يعبُر ممرّ التعقيم .. ولكنه لم يلبث أن اندفع فجأة إلى الأمام ، كما لو أن ضربة قوية قد أصابته فى مؤخرة عنقه ، وهتف فى ألم :

ـــ مستحيل !!

ثم انفجر مخه ، وذابت شرايينه ، وأضاف الكوكب الملعون إلى رصيده الأسود ، ضحية رابعة .

* * *



وأخذ يصرخ وهو يعبُر ممرّ التعقيم .. ولكنه لم يلبث أن اندفع فجأة إلى الأمام ..

٩ ـــ الحقيقة المذهلة ..

تطلّع الدكتور (شوق) إلى ساعته الذَّرِّيَّة ، وهو يقول فى قلق :

ـــ لقد استغرق (سامى) وقتًا طويلًا فى عمله .

تطلّع (نور) إلى ساعته الذَّرِّيَّة بدوره ، وهو يغمغم :

ـــ هذا صحيح .. أخشى أن ....

ودون أن يتم عبارته ، أسرع يغادر مكتب الدكتور (شوق) ، وتبعه الجميع فى قلق ، وقد أدركوا مغزى بتر العبارة ، وتحركوا فى خُطوات قلقة سريعة إلى حجرة (نبيه) ، حيث هتف الدكتور (شوق) فى توتُّر :

ـــ إنه ليس هنا .. أين ذهب ؟

أشار الدكتور (وليد) إلى حيث توضع أقنعة الأكسوجين ، وقال :

ـــ أعتقد أنه داخل القاعة ، فالأقنعة الأربعة تنقص قناعين .

أسرع الدكتور (شوق) يلتقط أحد القناعين الباقيين ، وهو يقول فى لهفة :

ـ سألحق بهما .. لست أطمئن إلى هذا الوضع .

التقط (نور) القناع الثانى ، وهو يقول :

ـ ستحتاج إلى رفيق .

ولم يكد الدكتور (شوق) يفتح باب حجرة التعقيم ، حتى اتسعت عيناه فى ذُعر ، وهتف فى ألم :

ـ يا إلهى !!.. (نبيه) ؟!

أدرك (نور) الموقف من النظرة الأولى لجثة (نبيه) ، فتجاوزها بقفزة رشيقة ، وأسرع إلى القاعة ، ثم لم يلبث أن عاد شاحب الوجه ، وغمغم فى حنق وغضب :

ـ لقد تأخرنا .. لقد فاز الكوكب الملعون فى هذه الجولة أيضًا .

* * *

شمل التوتُّر جميع الحاضرين ، وهم ينتظرون فى حجرة الدكتور (شوق) ، نتائج الفحص الذى يجريه الدكتور (حجازى) لجثتى الضحيَّتين الأخيرتين ، وصاح الدكتور (وليد) فى حنَق :

ـ إنها اللَّعنة !! لعنة الخالق على من أرادوا مقارنة أنفسهم به .

صاح الدكتور (شوق) فى عصبيَّة :

ـ كفى يا (وليد) .. كُفّ عن تعصُّبك الأعمى هذا .. لقد سبق لنا مناقشة هذا الأمر ، حاول أن تفكِّر بعقلية عالم .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أو بعقلية قاتل .

رمقه الدكتور (وليد) بنظرة عدائيَّة نارية ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ كيف تجرؤ ؟

هتف (رمزى) فى حَنَق :

ـ بل كيف تجرؤ أنت ؟.. لن أحاول مجاملتك أيها العالم ، فأنت فى نظرى المتهم الأوَّل .

صاح الدكتور (وليد) فى غضب :

ـ أتتَّهمنى بالقتل ؟

قال (رمزى) فى صرامة :

ـ نعم .. إن خبرتى فى مجال النفس البشرية يؤكد لى أن الدكتور (شوق) برىء مما يحدث ، أما أنت فلا .. إنك

الشخص الذى يمتلك الدافع إلى إيقاف المشروع .. ربَّما لم يكن هو نفس الدافع الذى تصوَّره (نور) ، ولكنه دافع قوى على أيَّة حال .

تطلَّع إليهما (نور) فى شرود ، حتى لقد بدا وكأنه لا يسمع حرفًا واحدًا مما يقولانه ، فى حين صاح الدكتور (وليد) فى غضب :

ــ هذا الدافع لا يوجد إلَّا فى رأسك أنت .

هتف (رمزى) فى غضب :

ــ بل فى رأسك أنت يا دكتور (وليد) .. إنه دافع التعصُّب الدِّينى الأعمى ، الذى يجعلك تعمل جاهدًا على إفساد المشروع ، وقتل العاملين عليه ، وأنت تتصوَّر أنك تدافع عن الحق والفضيلة ، وتقتل الكافرين المارقين .

صرخ (وليد) فى غضب :

ــ أنت مجنون .

أجابه (رمزى) فى صرامة :

ــ من يدرى من منَّا المجنون أيها الرجل ؟

صاح الدكتور (شوق) فى حَنَق :

ــ كفَى ..

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا فى غضب :

ــ هل توافق على اتهام طبيبكم النفسى للدكتور (وليد) أيها الرائد ؟

التفت (نور) إلى (وليد) و (رمزى) ، وغمغم فى خفوت وشرُود :

ــ كلَّا يا دكتور (شوق) .. لستِ أوافق (رمزى) .

ارتفع حاجبا (رمزى) ، وهو يهتف فى دهشة واستنكار :

ــ لا توافق ؟!.. كيف يا (نور) ؟.. لقد قضى كل المشتبه فيهم حتفهم ، عدا الدكتور (شوق) ، والدكتور (وليد) .. وأنا أجزم ــ بحكم خبرتى ــ أن الدكتور (شوق) برىء .. إذن فمن الضرورى أن يكون الدكتور (وليد) هو الـ....

قاطعه (نور) فى هدوء :

ــ ليس من الضرورىّ يا (رمزى) .

عاد حاجبا (رمزى) يرتفعان فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ من إذن ؟

لوَّح (نور) بكفِّه ، وهو يغمغم فى شرود :

ــ سأخبرك يا (رمزى) .. سأخبركم جميعًا ، حينما ينتهى

الدكتور (حجازى) من فحص الجثتين ، وعندمـــا يحضر (محمود) نتائج التصوير الميكروسكوبى .

هتفت (سلوى) :

ــ هل توصّلت إلى الحلّ يا (نور) ؟

أجابها فى صوت خافت مضطرب :

ــ تقريبًا يا عزيزتى ، ولكنه أمر مذهل .. مستحيل .

صاحت وقد بلغ فضولها ذِرْوته :

ــ أخبرنا به يا (نور) .

تردّد (نور) ، وظهرت الحَيْرة على ملامحه ، وأنقذه الدكتور (حجازى) مِنْ حَيْرته ، حينما دلف إلى الحجرة ، وهو يقول فى ضيق :

ــ نفس الأسلوب ، ووسيلة القتل أيها السادة .

ثم أردف وهو يزفر فى عصبيّة :

ــ وهؤلاء الصحفيون يحيطون بالمركز ، إحاطة السوار بالمعصم ، ويثيرون أعصابى بأسئلتهم كلما جئت إلى هنا .

صاح (رمزى) :

ــ هل رأيت أيها القائد ؟.. نفس الوسيلة !.. أمازلت تصرّ على أن الدكتور (وليد) برىء .

تنهّد (نور) فى هدوء ، وقال :

ــ نعم يا (رمزى) .. لو أن الدكتور (وليد) يخفى سلاح (أشرف) السرّى ، داخل الكوكب ، فكيف تفسّر إصابة (نبيه) فى نهاية الممر ؟.. ثم كيف يتفق هذا مع أن الدكتور (وليد) ، لم يدخل القاعة قط ؟

ظهرت الحَيْرة على وجه (رمزى) ، وهو يغمغم :

ــ ربّما .. ربّما ..

ولكنه لم يجد تفسيرًا معقولًا ، فأطبق شفتيه ، ولاذ بالصمت ، وهو يرمق الدكتور (وليد) بنظرات غاضبة ، فى حين عادت (سلوى) تهتف :

ــ أخبرنا بنظريتك يا (نور) .

غمغم (نور) :

ــ ليس بعد يا (سلوى) .

عقدت حاجبيها فى غضب ، فى حين وصل (محمود) فى هذه اللحظة ، وقال وهو يلوّح بمجموعة من الصور الفوتوجرافية :

ــ ها هى ذى كل الصور يا (نور) ، ولكنها تبدو مذهلة .. تصوّر أنها مجموعة من المشاهد الطبيعية لبحار ، وأنهار ، وغابات ، كما لو أنها قد التقطت لكوكب الأرض نفسه !

عقد الدكتور (شوق) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ وماذا فى ذلك ؟.. لقد بذل الدكتور (على) عشر سنوات من عمره وجهده ، ليحاكى الطبيعة على كوكب الأرض بمنتهى الدقة ، على سطح كوكبه الصغير .

التقط (نور) مجموعة الصور ، وتأمَّلها فى إمعان ، ثم توقَّف عند إحداها ، وتألقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يهتف فى ارتياح :

ـــ ها هى ذى .

ثم أسرع نحو الدكتور (شوق) ، وناوله الصورة ، وهو يقول :

ـــ هل تُرى هذه الصورة ؟

التقط الدكتور (شوق) الصورة ، وأخذ يتأمَّلها فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـــ إنها مجموعة من الخطوط المتوازية والمتقاطعة ، التى تمتلئ بنقاط مستطيلة صغيرة ، ولكننى لست أفهم ما هى !!

قال (نور) فى لهفة :

ـــ تأمَّلها جيِّدًا يا سيِّدى .. ألا تشبه خطوط المواصلات ؟

هزَّ الدكتور (شوق) كتفيه ، وقال :

ـــ ربَّما ، ولكنها مجرَّد مصادفة .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا فى عنف ، وأشار إلى الصورة قائلًا :

ـــ وهذه المستطيلات الصغيرة .. أهى مجرَّد مصادفة أيضًا ؟

هتف الدكتور (شوق) فى حَنَق :

ـــ وماذا تُعنى هذه الخطوط والمستطيلات فى رأيك ؟

التقط (نور) عدسة مكبِّرة ، من فوق مكتب الدكتور (شوق) ، وناوله إيَّاها ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ انظر بواسطة هذه العدسة يا سيِّدى .. انظر وسترى ما يذهلك .

تناول الدكتور (شوق) العدسة فى حَيْرة ، ووضعها على عينيه ، وعاد يتأمَّل الصورة ، ثم لم يلبث رأسه أن ارتدَّ فى حِدَّة ، وهو يهتف :

ـــ مستحيل !!

صاحت (سلوى) فى فضول :

ـــ ماذا تُرى يا دكتور (شوق) ؟.. ما هذه المستطيلات الصغيرة ؟

ارتجف صوت الرجل ، وهو يغمغم :

التقط (نور) عدسة مكبّرة ، من فوق مكتب الدكتور (شوق) ، وناوله إيّاها ..

ـ هذا مستحيل !! لست أصدّق ما أراه !!

وبدا صوته أقرب إلى الحشرجة المختنقة ، وهو يستطرد :

ـ إنها سيارات صاروخية .

هتف الجميع فى آن واحد ، وبلهجة تحمل كل الذهول :

ـ ماذا ؟!

وازداد تألّق عينى (نور) ، وهو يقول فى حماس وانفعال بلغا ذِرْوتهما :

ـ هذا ما كنت أخشى التصريح به أيها السادة .. إن هذا الكوكب الصناعى مسكون .. مسكون بحضارة تفوقنا علمًا .

* * *



١٠ ـ سلسلة التطوُّر ..

لم يكن من السهل أن ينجاب ذهول الحاضرين ، بعد تصريح (نور) البالغ الخطورة ، فمضت ثلاث دقائق من صمت مُطْبق ، قبل أن يهتف الدكتور (وليد) :

ـ هذا مستحيل !! أنت واهم !! إنه مجرَّد كوكب صناعيّ .

مطَّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ـ أنت محقّ فى استنكارك يا دكتور (وليد) .. فلقد أذهلنى ذلك الأمر ، حينما توصَّل إليه عقلى ، وظللت أرفضه ، وأقاومه ، ولكنه كان يلحُّ على عقلى إلحاحًا لا فكاك منه .. ولقد ازداد إلحاحه حينما عثرنا على جثة (نبيه) ، فى نهاية ممرّ التعقيم ، وهو يحمل قطعة معدنية ، وكأنه كان يدافع بها عن نفسه ضد شىء ما ، أو كان يحاول تحطيم شىء ما .. وجاءت الصور الميكروسكوبية لتمحو من عقلى أيَّة ذرَّة شك .

وبدا صوته عميقًا ، قويًا وهو يستطرد :

ـ إن هذا الكوكب مسكون بمخلوقات بالغة الصغر ، يتناسب حجمها مع حجم الكوكب ذاته ، وهذه المخلوقات لم تبدأ سلسلة التطوُّر ، مثلما بدأناها نحن ، بالكائنات المائية ، فالبرمائية ، فالزواحف .. إلخ .. وإنما بدأت سلسلة تطوُّرها بالإنسان ؛ لأن طبيعة الكوكب تختلف ؛ ولأن سلسلة التطوُّر لا تتشابه أبدًا ، مهما تماثلت الظروف ، تمامًا كما قال الدكتور (وليد) .

عاد الدكتور (وليد) يهتف فى ذُهول :

ـ ولكن هذا مستحيل !!

لم يلتفت (نور) إلى تعليقه ، وهو يردف :

ـ وكان من الطبيعى أن تبلُغ هذه المخلوقات مرحلة هائلة من التطوُّر ، فى وقت بالغ الصغر بالنسبة إلينا .. فنحن نبدو لهم وكأننا نتحرَّك فى بطء شديد ، فاليوم عندنا يساوى أربعة أعوام من عمرهم .. ولا ريب أنهم قد بدءُوا تطوُّرهم قبل أن يعلن الدكتور (على) عن مشروعه ، أى منذ عامين على الأقل ، أو ما يساوى ثلاثة قرون من عالمهم ، الذى يتطوَّر ولا شك بسرعة مذهلة ، ليختصر من تطوُّرنا نحن ملايين السنين ، وليقفز فى ثلاثة قرون إلى عصر الذَّرَّة والفضاء .

صاح (وليد) :

ــ هذا جنون .

مرَّة أخرى تجاهله (نور) ، وهو يتابع فى انفعال :

ــ ولعلنا نذكر جميعًا أن أوَّل حادث قتل ، وأعنى به مصرع الدكتور (على) ، قد حدث حينما كان هذا الأخير ينوى تعريض الكوكب لسلسة من الكوارث .. بحيث باتَ هو ذاته خطرًا يتهدَّد أمن الكوكب ، وسلامة هذه المخلوقات ، التى لم تتردَّد فى اقتحام فضائها ، ومهاجمة خصمها بسفن فضائية صغيرة ، أضافت بعض الإحداثيات الغامضة لبرنامج الكمبيوتر ، قبل أن تطلق السفن قذيفة ذرِّية ، انفجرت كقنبلة ذرِّية صغيرة فى داخل رأس الدكتور (على) ، وأذابت مخه وشرايينه .

تضاعف انفعاله ، وهو يواصل قائلًا :

ــ وسَرَت نشوة النصر فى قلوب المخلوقات الصغيرة ، وقررَت أن تستقلَّ بكوكبها ، وتدافع عنه ضد الغُزاة ، الذين هم نحن ، وكل من يحاول الاقتراب من الكوكب الصغير ، وفى نفس الوقت كانت علوم الكوكب الصغير تتطوَّر وتنمو ، فى سرعة مذهلة ، لا نشعر بها نحن .. حتى أنه لن يدهشنى أنهم يفوقوننا

تطوُّرًا الآن ، بفضل ما أنجزوه فى اللحظات ، التى نناقش فيها نحن أمرهم هنا .

صرخ الدكتور (وليد) فى استنكار شديد :

ــ لا تتمادَ أيها الرائد .. إنك تُضفِى على الدكتور (على) صفات الآلهة ، وهذا قمة الكُفر والإلحاد .

مطَّ (نور) شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ــ من يدرى يا دكتور (وليد) ؟.. من منَّا يمكنه أن يجزم بطبيعة الأمر ؟.. ربَّما كانت هذه المخلوقات الصغيرة تنتمى إلى كوكب آخر ، يشبه بالصُّدفة هذا الكوكب الصناعىّ ، وربَّما تحطَّم كوكبها لسبب ما ، فوجدت ملاذًا فى هذا الكوكب الصغير .. من يدرى ؟

هتف الدكتور (وليد) فى صرامة :

ــ إننى أرفض هذا وذاك .

ساد الصمت بُرهة ، ثم قال (نور) فى هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ــ هناك وسيلة للتأكُّد يا دكتور (وليد) .

ضمَّ (وليد) شفتيه ، وهو يمهم بكلمات غامضة مُبهمة ، ساخطة ، فى حين استطرد (نور) فى هدوء :

— سنواجه الكوكب الملعون ، وسنحاول تحطيمه .. ولنَرَ ماذا يكون من سكانه .

ساد الصمت لحظة أخرى ، ثم عقد الدكتور (شوق) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حزم :

— نعم .. سنواجه هذه المخلوقات الصغيرة .. إن وجدت .

ورفع رأسه مستطردًا فى صلابة :

— سنواجه هذا الكوكب الملعون .

* * *

غمغمت (سلوى) فى ضيق ، وهى تداعب الأجهزة العديدة فى حجرة (نبيه) :

— كان ينبغى أن أصحبكم فى هذه التجربة .

ربَّت (نور) على رأسها فى حنان ، وهو يقول :

— أنت تعلمين أنه لا توجد سوى أربعة أقنعة أكسوجين فقط يا عزيزتى .. وهذا يعنى أنه لن يسمح إلّا لأربعة أشخاص بدخول القاعة .. ومن الضرورى أن يكون اثنان منهما هما الدكتور (شوق) ، والدكتور (وليد) ، لتأكيد نظريَّتى ، وسأكون أنا الثالث ، و (محمود) الرابع ؛ لأنه الوحيد الذى يمكنه استخدام أجهزة التصوير الميكروسكوبى .

غمغمت فى حنق :

— سيقتلنى القلق وأنا انتظركم هنا .

ابتسم ، وهو يقول فى رفق :

— سيبقى (رمزى) معك ، فنحن نحتاج إلى خطّ دفاع ثانٍ ، إذا ما هاجمنا سكّان الكوكب فى عُنف .

ارتسمت على شفتيها ابتسامة شاحبة ، وهى تقول فى خفوت :

— إنها مجرَّد مخلوقات صغيرة يا (نور) .

هزَّ كتفيه ، وهو يغمغم :

— لقد نجحت هذه المخلوقات الصغيرة فى قتل أربعة أشخاص حتى الآن يا (سلوى) .. ولا تنسَىْ أن الفيروسات بالغة الدقّة ، ولكن فيروس (الإيدز) وحده كاد يفنى العالم، لولا أن كشفنا العلاج المضادّ له فى أوائل التسعينات من القرن العشرين .

بدأت الدموع تلتمع فى عينيها ، وتمتمت وهو يرتدى قناع الأكسوجين :

— حذار يا (نور) .

ابتسم فى وجهها ابتسامة شاحبة ، ثم أسرع يدلف إلى ممرّ

التعقيم ، وتبعه (محمود) ، والدكتور (شوق) ، والدكتور (وليد) .. وسرعان ما أصبح الأربعة داخل القاعة الفضائية ، حيث أشار الدكتور (وليد) إلى الكوكب الصغير ، وهزَّ رأسه وكأنما يعلن إصراره على رفض منطق (نور) ، الذى أشار إلى الجميع أن ينتحوا جانبًا ، ثم اقترب من الكوكب فى حذر ، وألصق عينيه بعدستى جهاز التصوير الميكروسكوبى ، وغمغم دون أن يسمعه أحدهم :

— إنها معجزة !! معجزة بحقّ !!

تراجع الدكتور (شوق) فى دهشة ، وجحظت عينا الدكتور (وليد) فى ذُهول ، وهما يحدّقان فى مجموعة من الأجسام بالغة الصِّغر ، التى بدأت تعبُر الغلاف الجوّى للكوكب الصغير فى سرعة ، وشهق (محمود) شهقة ابتلعها الفراغ ، حينما رأى تلك الأجسام الدقيقة ، التى تشبه سفن فضاء متطوّرة ، وهى تنطلق نحو (نور) ، الذى بدا لاهيًا عنها بمراقبة الكوكب الصغير ..

واندفع (محمود) إلى الأمام صارخًا :

— احترس يا (نور) .

وضاعت صرخته فى الفراغ ، ولم تبلغ أذنى (نور) ، الذى انقضت عليه السفن الفضائية الدقيقة كسرب من البعوض القاتل ، فى حين شحب وجه (محمود) ، وهو يهتف فى ألم ومرارة :

— لقد اقتنصوا (نور) .. لقد انتصر الكوكب الملعون مرّة أخرى .

* * *



١١ ــ فى حجم الذرَّة ..

هناك العشرات من الظواهر والأشياء فى عالمنا ، وفى أنفسنا ، نعجز عن فهمها ، أو تفسيرها ..

أشياء غامضة ، عجيبة ، تفُوق إدراك العقل البشرى ، وتتجاوزه بمراحل ..

أشياء مثل مثلَّث برمودا ، أو الهرم الأكبر ، أو القوى فوق النفسية ..

أشياء مثل عجائب الطبيعة البشرية ..

تلك السفن الفضائية الصغيرة ، كانت أحد هذه الأشياء ..

وكذلك ردّ فعل (نور) ..

لقد كان يفحص سطح الكوكب فى شغف واهتمام ، حينما انقضَّت عليه السفن الصغيرة ، ولا أحد يدرى كيف شعر بانقضاضتها ؟..

أهى غريزة؟.. أم هو شعور نما من كثرة معايشة الغموض والألغاز ؟..

لقد أبعد (نور) عينيه عن عدستى جهاز التصوير الميكروسكوبى فجأة ، وأمال رأسه إلى الخلف فى حركة حادَّة ، فتجاوزته تلك القذيفة الذرِّية بالغة الصغر ، وعَبَرته لترتطم بحائط القاعة ، وتنفجر محدثةً ذلك الشكل الشبيه بنبات عش الغراب ، والمميِّز للانفجارات الذرِّية ..

وقفز (نور) من مقعد الجهاز ، وانتزع مسدسه اللِّيزرى ، وهو يتفادى القذائف المنمنمة ، وسفن الفضاء الدقيقة ، التى تحيط به فى عنف وشراسة ، وعَبَر شعاع الليزر الأزرق فضاء العالم الصناعى ، وانفجرت سفينة فضاء دقيقة ، وتبعتها أخرى .

انفجرتا فى صمت ..

وتراجع الدكتور (شوق) فى رُعب ، واندفع (محمود) يحاول معاونة (نور) ، واتسعت عينا الدكتور (وليد) ، وهو يهتف :

ــ مستحيل !! مستحيل !! لابدَّ من تحطيم المشروع .. لابدَّ .

وانطلق فجأة نحو الكمبيوتر الضخم ، الذى يدير كل شىء .. كل العالم الصناعى ..



وانتزع مسدسه اللّيزرى ، وهو يفادى القذائف المتمنمة ، وسفن الفضاء الدقيقة ..

وفجأة .. توقّفت سفن الفضاء الصغيرة عن مقاتلة (نور) ، و (محمود) ، واستدارت كلها نحو الدكتور (وليد) ، كما لو أنها تلقّت أمرًا واحدًا ..

وفهم (نور) ما يحدث ، حينما رأى السفن الدقيقة تندفع كلها نحو الدكتور (وليد) ، الذى يحاول إفساد الكمبيوتر ، فصاح فى جَزَع :

ــ كلّا .. كلّا .. توقّف .

وضاعت صيحته فى الفراغ ، كما ضاعت كل الصيحات التى سبقتها ، وانطلقت خمس قذائف ذرّية متمنمة نحو رأس الدكتور (وليد) .. واخترقته ..

* * *

لم يضع (نور) لحظة واحدة ..

لم ينتظر حتى ليرى ما أصاب الدكتور (وليد) ..

كان يعلم النتائج ، دون أن يراها ..

وفى سرعة .. انتزع الدكتور (شوق) من ذهوله ، وجذبه من معصمه فى قوة ، وهو يدفع (محمود) أمامه إلى خارج القاعة ، وأخذ يغلقها خلفهم فى إحكام .. ثم أخذ يعدُو برفقتهما إلى الخارج ، حتى عَبَرُوا ممرّ التعقيم ، فصاحت (سلوى) فى جَزَع :

ـــ ماذا حدث ؟.. أين الدكتور (وليد) ؟

أجابها (نور) وهو يلهث ، من فرط الانفعال والجهد :

ـــ لقد هاجمونا ، ولقى الدكتور (وليد) مصرعه ، وهو يحاول إفساد الكمبيوتر الرئيسى .

لم تزد (سلوى) على أن غمغمت فى ذُعر وشحوب :

ـــ يا إلٰهى !!

وصاح (رمزى) :

ـــ ينبغى أن ندمِّر المشروع .. ينبغى أن نقضى على هذه المخلوقات الصغيرة .

صاح (نور) فى صرامة :

ـــ كلَّا يا (رمزى) .. إنهم ليسوا حشرات ضارَّة .. إنهم مخلوقات عاقلة مفكِّرة .

هتف (رمزى) فى حنق :

ـــ وقاتلة أيضًا .. لقد قتلوا خمسة رجال حتى الآن .

صاح (نور) فى توتُّر :

ـــ إنهم يدافعون عن عالمهم .

انبرى الدكتور (شوقى) ، يقول فى اضطراب بالغ :

ـــ إننى أوافق الدكتور (رمزى) .. لابدَّ من القضاء على ذلك الكوكب الملعون .

هتف (نور) فى حِدَّة :

ـــ ألا تدركون ما تعنيه كلماتكم ؟.. إنكم تطالبون بالقضاء على عالم كامل .. عالم لم يرتكب من الإثم سوى محاولة الدفاع عن كيانه ووجوده .

صرخ (رمزى) فى حِدَّة :

ـــ أعلم أنك تكره القتل والدّمار يا (نور) ولكن ....

قطع عبارته فجأة دوِىّ مكتوم ، انبعث من خلف الباب المعدنى ، الذى يفصل ممرّ التعقيم عن حجرتهم ، وارتج الباب فى قوة ، فاتسعت عينا (نور) ، وهو يهتف :

ـــ يا إلٰهى !!.. لقد قرَّروا مواصلة القتال !

وفجأة .. سقط رتاج الباب المعدِنىّ ، مخلفًا ثغرة صغيرة ، اندفعت عَبْرها سفن الفضاء الدقيقة ، وصرخت (سلوى) فى رُعب ، وصاح (نور) :

ـــ لقد حُسِمَ الأمر .. سنقاتل من أجل البقاء .. بقائنا .

* * *

اندفعت خمس عشرة مقاتلة فضائية ، عَبْر الثقب الصغير ، وأطلق (نور) أشعة مسدَّسه اللّيزرى نحو إحداها ، وهو يهتف برفاقه :

— ابتعدوا .. غادروا الحجرة بأسرع ما تستطيعون .. حاولوا أن تحتموا بحجرة الدكتور (شوق) .

حطَّمت أشعة مسدسه ثلاث مقاتلات دقيقة ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه عشرات القذائف الذرِّية نحوه ، فتفاداها فى حركة بارعة مرنة ، وهو يهتف :

— هيَّا .. لا تضيعوا الوقت .

انطلق الجميع يعدُون خلال الممرِّ الطويل ، الذى يقود إلى حجرة الدكتور (شوق) ، وبقى (نور) وحده يقاتل السفن الفضائية الدقيقة ، وهو يتراجع إلى الخلف ، ويتفادى القذائف الذرِّية المنمنمة ، التى تناثرت حوله كالمطر .. ثم قفز فجأة إلى الخارج ، وأوصد الباب خلفه فى قوة ، واندفع يركض عَبْر الممر ، فى حين انهالت القذائف الذرِّية على رتاج الباب ، تحاول تحطيمه ..

ولحق (نور) برفاقه فى حجرة الدكتور (شوق) ، وأوصدها خلفهم ، ثم ألقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وأخذ يلهث فى قوة ، فى حين هتف الدكتور (شوق) فى ذُعر :

— ماذا حدث ؟.. لماذا يطاردوننا هذه المرَّة ؟

غمغم (نور) وهو يلهث :

— نشوة النصر يا دكتور (شوق) .. لقد انتصروا فى كل هجماتهم من قبل .. ولا ريب أنهم قد تطوَّروا أيضًا ، ودفعهم غرورهم إلى محاولة القضاء على عالمنا كله .

صاحت (سلوى) فى استنكار :

— القضاء على كوكب الأرض ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

— ليس إلى هذا الحدّ يا عزيزتى .. إن عالمنا بالنسبة لهم ، لا يتجاوز هذا المركز .

أسرع الدكتور (شوق) إلى مكتبه ، وقال فى صرامة :

— سأدمِّر عالمهم .. سأصدر أوامرى إلى الكمبيوتر الرئيسى و ....

انقطع الضوء الكهربى فجأة ، فبتر عبارة الدكتور (شوق) ، الذى هتف فى ذُعر :

— يا إلهى !!.. لقد دمَّروا الكمبيوتر الرئيسى .. لقد سجنونا هنا .

هتف به (نور) فى توتُّر :

— ماذا تعنى ؟

انهار الرجل على مقعده ، وهو يغمغم فى يأس :

ـ كل شىء هنا يدار بالكمبيوتر الرئيسى .. الأضواء والأبواب ، والنوافذ .. وحتى التجارب العلمية .. لن يمكننا مغادرة المكان أبدًا .

تبادل الجميع نظرة قلقة ، عَبْر ظلام الحجرة ، ثم غمغم (نور) :

ـ يبدو أن تلك المخلوقات الصغيرة قد انتصرت يا (سلوى) .

هتفت (سلوى) فى انهيار :

ـ لم أكن أتصوَّر ذلك .. لم أكن أتصوَّره أبدًا .. إنهم فى حجم الذرَّة !!

وفجأة هتف (نور) :

ـ يا إلٰهى !!.. لقد دمَّروا عالمهم .. لن يجد هؤلاء الصغار عالمًا يعودون إليه ظافرين ، بعد انتصارهم علينا .

قفز الدكتور (شوقى) من مقعده ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ ربَّاه !!.. هذا صحيح .. لقد دمَّروا الكمبيوتر الرئيسى ، وسيتوقَّف الكمبيوتر الخاصّ بعالمهم كذلك ، وسيتوقف كوكبهم الملعون عن الدوران ، وسيهوى ليتحطَّم على أرض القاعة .. لقد هزموا أنفسهم دون أن يدروا .

ارتفع فجأة دوِىّ انفجارات دقيقة متتالية على باب حجرة الدكتور (شوقى) ، وعقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى توتُّر بالغ :

ـ يبدو أنهم لم يدركوا ذلك يا سيِّدى .. فما زال هدفهم هو النصر ، والنصر عندهم يعنى قتلنا .. قتلنا جميعًا .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى تهاوى الباب المعدنىّ ، واندفعت عشر سفن فضائية مقاتلة إلى الحجرة الصغيرة ، وعلى متنها مقاتلون أشداء .. فى حجم الذرَّة ..

* * *



١٢ ـ شموس من الأرض ..

ساد الهرج بين الصحفيين ، الذين يحيطون بالمركز ، حينما خبت أضواؤه فجأة ، وحاول بعضهم اقتحام الباب المعدنىّ بلا فائدة ، فى حين أسرعت (مشيرة محفوظ) إلى فريق التصوير المرافق لها ، وهى تقول :

ـ فليقطع ذراعى إن لم تكن هناك مواجهة مذهلة بالداخل .

هتف رئيس فريق التصوير فى لهفة وحماس :

ـ وهل سنفقد هذا السبق الصحفى ، بسبب تعنُّت ذلك الرائد ، صديقك .

عقدت حاجبيها فى حزم ، وهى تقول :

ـ محال .. لم تفقد (مشيرة محفوظ) نصرًا صحفيًا قط .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تفكّر فى عمق ، ثم تهلّلت أساريرها فجأة ، وهى تهتف :

ـ وجدتها .. سنحصل على سبق صحفى رائع .

ثم اقتربت من رئيس فريق التصوير ، وهى تشير إلى المبنى ، مستطردة فى حماس :

ـ هل ترَى تلك النافذة هناك ، فى الطابق الثانى ؟. إنها من الزُّجاج المصفَّح ، المقاوم حتى لأشعة اللّيزر ، ولكن لا أظن أنها ستقاوم فلاشات التصوير ، وعدسات الآلات .

سألها الرئيس فى انفعال :

ـ ماذا تعنين ؟

قالت فى حماس ، وهى تتلفَّت حولها ، خشية أن يسمعها سواه :

ـ سنستخدم الآلات الرافعة ، لتصعد أنت وأنا إلى هناك ، ثم نضىء فلاشات التصوير فجأة ، ونلتقط صور ما يحدث فى حجرة مدير المركز ، قبل أن ينتبه رجال الأمن فى الخارج إلى ما نفعل .

رفع الرجل عينيه يتطلّع إلى النافذة ، وهو يغمغم :

ـ إنها فكرة مجنونة ، ولكن لا بأس .. هيَّا بنا .

ابتسمت (مشيرة) فى ظفر ، وهى تغمغم :

ـ ستفاجئك (مشيرة محفوظ) بنصر صحفى جديد ، أيها الرائد (نور) .

* * *

قفز أفراد الفريق ، يحاولون الاحتماء بأثاثات حجرة مكتب الدكتور (شوق) ، حينما انقضَّت عليهم السفن الفضائية الدقيقة ، وانهالت القذائف الذرِّية المنمنمة ، لتحطِّم قطع الأثاث ، وصرخت (سلوى) فى ذُعر :

ـ مستحيل !! مستحيل !! ستكون نهايتنا على يد هؤلاء الأقزام ، الذين لا يتجاوز حجمهم حجم ذرَّة صغيرة .. مستحيل !!

قفز (نور) بمسدسه اللّيزرى ، وهو يهتف فى إصرار :

ـ مُحال يا (سلوى) .. لن نسمح لهم .

وانطلقت أشعة مسدَّسه اللّيزرى تحطِّم واحدة من السفن الدقيقة ، وأعجزه الظلام عن إصابة الأخرى ..

وفجأة .. أصابت مسدَّسه اللّيزرى قذيفة ذرِّية منمنمة ، فانفجر فى يده ، ومزَّق بعض جلد أصابعه ، فتراجع وهو يصرخ فى ألم ، ورأى المقاتلات التسع الباقية تنقضّ عليه ، وكأنما شعر هؤلاء الأقزام أنه أخطر الجميع ..

وفى حركة سريعة .. التقط (نور) منفضة سجائر صغيرة ، وألقاها نحو السفن الفضائية التسع ، فأصاب ثلاثًا منها ، فى حين أطلقت الستّ الأخرى قذائفها نحوه ..

وقفز (نور) من مكمنه ، وترك القذائف الذرِّية الستّ تفجِّر مقعدًا صغيرًا فى دوىّ شديد ، ثم ركض نحو الحائط المقابل ، والتصق به فى توتُّر ، ورأى على الضوء البالغ الخفوت ، الذى يتسلَّل عَبْر النافذة الزجاجية ، السفن الفضائية الدقيقة الستّ ، وهى تستدير إليه فى مناورة بارعة ، وتتفرَّق على نحو بالغ المهارة ، ثم تنقضّ عليه من كل الجهات ..

كانت مناورة شديدة البراعة ، من رجال فى حجم الذرَّة ، ولم يكن هناك مهرب واحد ، وأصبح من المحتَّم أن يصبح الرائد (نور الدين محمود) هو الضحية السادسة ، لرجال الكوكب الملعون ..

* * *

كان الموت آت لا ريب ، والمقاتلات الستّ لم تترك ثغرة واحدة لـ(نور) ، واستعدَّت القذائف الذرية للانطلاق و ....

وفجأة .. غمر الحجرة ضوء مبهر ..

ضوء خمس فلاشات تصوير قويَّة ..

وبدا الأمر كما لو أن خمس شموس قد أضاءت فجأة .. شموس من الأرض ..

وأغلق (نور) عينيه أمام الضوء المبهر ، وفقدت المقاتلات الدقيقة السِّت توازنها ، أمام تلك المفاجأة المذهلة ..

وانحنى (نور) فى حركة غريزية ، محاولاً حماية نفسه من ذلك الهجوم العجيب .. وحاولت المقاتلات تفادى ذلك الضوء المبهر المفاجئ .. ولكن مقاتلتا المقدِّمة ارتطمتا بالحائط ، الذى كان يلتصق به (نور) ، وانفجرتا فى صوت صفير مكتوم ، وانقضَّت مقاتلتا الميمنة والميسرة كل على الأخرى ، وقد غشى الضوء عيون قائديهما ، لو أن لهما عيونًا ، وانفجرت المقاتلتان بدوِىّ آخر مكتوم ..

وتراجع المقاتلان الأخيران ..

تراجعا بعد أن بات النصر بعيدًا ، صعب المنال .

وخبت الشموس الخمس كما تألقت ، وكادت (مشيرة) تهوى من فرط الانفعال ، وهى تهتف فى رئيس فريق التصوير :

ــ هل رأيت ما رأيتــه ؟!.. أرأيتــه أم أن عينيــىَّ قد خدعتانى ؟.. لقد شاهدت سُفُنًا فضائية بالغة الدقة تهاجم الرائد (نور) .

غمغم رئيس الفريق ، ولم يفارقه ذهوله بعد :

ــ لست أدرى يا (مشيرة) .. لست أدرى .. الصور وحدها ستؤكِّد ذلك .

أما (نور) ورفاقه ، فقد تابعوا بأبصارهم فى دهشة المقاتلتين الأخيرتين ، وهما يعبُران باب حجرة مكتب الدكتور (شوق) إلى الخارج ، وهتف (محمود) فى انفعال :

ــ لقد انتصرنا .. لقد انتصرنا .

أخفى الظلام ذلك الألم والأسف ، اللذين ارتسما على وجه (نور) ، وهو يغمغم :

ــ يا للمساكين؟! لقد حطَّمنا عالمهم كله .

ثم اندفع فجأة عَبْر الباب ، خلف المقاتلتين الأخيرتين ، وهو يخرج مصباحه اليدوىّ الصغير ، وهتفت (سلوى) فى جَزَع :

ــ إلى أين يا (نور) ؟.. إلى أين ؟

أجابها صوت الدكتور (شوق) فى إشفاق :

ــ دَعِيه يا سيِّدتى .. أنا أعلم ما ينوى فعله .

ثم أردف فى عمق واحترام :

ــ ودَعِينى أهنئك على زوجك .. فهو أفضل رجل قابلته فى حياتى كلها .

* * *



ثم اندفع فجأة عبْر الباب ، خلف المقاتلتين الأخيرتين ، وهو يخرج مصباحه اليدوىّ الصغير ..

١٣ ــ الختــام ..

اندفع (نور) يعبُر ممرّ التعقيم المطفأ ، خلف المقاتلتين ، مسترشدًا بضوء مصباحه الصغير .. ولم يكد يدلف إلى قاعة العالم الصناعى ، حتى امتلأ قلبه بحزن هائل ، وإشفاق يعجز القلم عن وصفه ..

لقد كانت الشمس الصناعية قد خبت ، والكوكب الصغير هوَى وتحطَّم على أرض الحجرة ، والنجوم انطفأت ..

عالمٌ بأسره قد تهاوَى ..

وشعر (نور) بالحزن يعتصر قلبه ، وبالمرارة تملأ حلقه ..

(نور) الذى يكره الدمار ، يشاهد بعينيه كارثة حطَّمت عالمًا كاملًا ..

وكان أكثر ما آلمه مرأى المقاتلتين الأخيرتين ، وهما تدوران حول الكوكب المحطَّم فى حَيْرة وضياع ..

وشعر (نور) بآلام من بقيا على قيد الحياة ، بعد فناء الكوكب الصغير ..

وشعر نحوهم بالشفقة والعطف ..

واعتدلت المقاتلتان ، واستدارتا إليه ، واتجهتا نحوه مباشرةً ..

ولم يشعر (نور) بالخوف هذه المرَّة ..

لقد كان الحزن يملأ قلبه ، حتى لم يعُد فيه مكان للخوف ..

وبقى ساكنًا ، هادئًا ، والمقاتلتان تدوران حول رأسه فى حَيْرة ، ثم رأى إحداهما تنفصل عن الأخرى ، وتعود إلى الكوكب المحطَّم ، وتنقض عليه ، لتنفجر فى حطامه ، وكأنما قرَّر قائدها أن يلحق بقومه .. أما الثانية ، فقد واصلت دورانها حول رأس (نور) ، ثم انفصلت ، واندفعت عَبْر ممرّ التعقيم ، وبدت كنقطة دقيقة ، وهى تنقضُّ على نافذة زجاجية صغيرة ، فى حجرة (نبيه) ، وتمطرها بقذائفها الذرِّية المنمنمة ، دون أن تخدش زجاجها المصفَّح ..

واتجه (نور) فى هدوء إلى النافذة ، وأخذ يعالج رتاجها فى اهتمام وحنكة ، والمقاتلة الدقيقة تدور حول رأسه فى استسلام ، وكأنما وقَّعا عقدًا غير مكتوب ، أو معاهدة لسلام حتمى ..

وأخيرًا .. انفتحت النافذة ، ودارت المقاتلة حول رأس (نور) دورتها الأخيرة ، ثم اندفعت عَبْر النافذة ، ولم تلبث أن غابت وسط الظلام ..

وبقى (نور) ثابتًا ، جامدًا ، يحدِّق فى تلك النقطة التى اختفت وتلاشت ، حتى ارتفع صوت (سلوى) ، وهى تهتف فى قلق :

ــ (نور) .. أين أنت يا (نور) ؟

هنا فقط غمغم فى حزن :

ــ أنا هنا يا (سلوى) .. لقد انتهى كل شىء .

ألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تبكى فى انفعال ، ثم قالت فى لهفة :

ــ لقد وصلت النجدة يا (نور) .. سينقذوننـــا .. سيخرجوننا من هنا .

شرد ببصره حيث اختفت المقاتلة الأخيرة ، وغمغم فى حزن :

ــ لقد انتهى كل شىء يا (سلوى) .

* * *

احتلَّت صورة (نور) ، وهو يواجه المقاتلات الستّ ، كل نشرات أنباء الڤيديو فى الأسبوع التالى ، ورفض الجميع تصديق ذلك البيان الذى أدلى به الدكتور (شوق) ، والذى حاول أن يبرِّر الموقف من خلاله ، ويوحى بأن هذه المقاتلات لم تكن سوى

بعض الألعاب المبرمجة ، وقفز اسم الصحفية (مشيرة محفوظ) إلى القمة ، فى حين ظلّ الرائد (نور) يشعر بتلك المرارة فى حلقه ، وهو يقدّم تقريره إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى سأله فى إشفاق :

ـ أما زلت تشعر بالحزن يا (نور) ؟

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة حزينة ، وهو يقول :

ـ سيزول مع مرور الوقت يا سيِّدى .. ليس من السهل أن ينسى المرء أنه قد حطَّم عالمًا كاملًا .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه ، وهو يقول :

ـ هم الذين حطَّموا عالمهم ـ بحسب تقريرك ـ يا (نور) .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح يا سيِّدى .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قال القائد الأعلى :

ـ هل تظن أنهم جزء من سلسلة تطوُّر بالفعل ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ من يدرى يا سيِّدى ؟.. لقد أشارت الكتب السماوية إلى وجود سبع أراض ، وسبع سموات ، وربَّما كانت هذه المخلوقات المسكينة من أرض تشبهنا ، ولكنها فى حجم ذلك

الكوكب الصغير ، وربَّما كانت هناك أرض أخرى ، نبدو لها نحن فى نفس ذلك الحجم الصغير ، ومن يدرى ؟.. ربَّما لم تكن رواية (جيلفر) ورحلاته بين الأقزام والعمالقة مجرَّد خيال من مؤلفها (جوناثان سويفت) ، وإنما إشارة لحقيقة نجهلها .. بل ربَّما كنا نحن مجرَّد تجربة ، يجريها عالم من العمالقة .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الكتب السماوية لا تقول ذلك يا (نور) .

ابتسم (نور) فى أسًى ، وهو يغمغم :

ـ من يدرى يا سيِّدى ؟

عاد الصمت يغلِّفهما لحظة أخرى ، قبل أن يسأل القائد الأعلى (نور) :

ـ كيف تتصوَّر مصير قائد المقاتلة الأخيرة ؟.. أين ذهب ؟.. وماذا سيفعل ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لن يذهب بعيدًا يا سيِّدى .. فهذا الشعب لم يعرف الأمراض والميكروبات فى حياته كلها ، وميكروب واحد يكفى للقضاء عليه .. ثم إن وقود مقاتلته الصغيرة ، لن يسمح له بالذهاب بعيدًا .

سأله القائد الأعلى فى حَيْرة :

ـــ لِمَ سمحت له بالفرار إذن ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ لقد منحته الأمل يا سيِّدى .. لقد عاد مهزومًا ، ووجد عالمه قد أُفْنِىَ ، ورفيقه لم يحتمل ، وفضَّل أن يَفْنَى مع عالمه ، أما هو فقد حاول أن يقاوم ، وأن يحيا ، وكان من واجبى أن أمنحه الأمل .

ارتسمت ابتسامة إعجاب على شفتى القائد الأعلى ، وهو يغمغم :

ـــ أنت إنسان نادر يا (نور) .

ثم استطرد فى حزم :

ـــ بل أنت أعظم شاب عرفته ، طوال عملى بالمخابرات العلمية ، سيكون لك شأن عظيم يا ولدى ..

* * *

فى منزل صغير ، يطلّ على شاطئ مدينة (الإسكندرية) ، هتفت أم تخاطب ولدها الصغير :

ـــ (حسام) .. ماذا تفعل فى الشُرفة ؟.. لقد حان موعد الطعام .

أسرع إليها ولدها ، وهو يهتف فى سعادة :

ـــ أمِّى .. انظرى ما الذى عثرت عليه ؟

تناولت أمه الجسم الدقيق الذى يحمله ، وتأمَّلته فى إمعان ، ثم ابتسمت وهى تقول :

ـــ إنه نموذج رائع ، بالغ الدِّقة لسفينة فضاء .. أين عثرت عليه ؟

أجابها فى سعادة :

ـــ كنت قد وضعت نموذج الكرة الأرضيــة الصغير فى الشُرفة ، وحينما عدت إليه وجدت هذا الشىء فوقه .

عادت الأُم تتأمَّل سفينة الفضاء الدقيقة ، وهى تقول :

ـــ إنها تحفة جميلة بالفعل .

ثم أعادتها إلى ولدها ، وهى تقول فى لامبالاة :

ـــ عليك أن تسأل عنها صديقك (منير) أولًا ، فربَّما كانت تخصّه ، وسقطت من شرفتهم ، التى تعلونا .

هتف الصغير فى مرح :

ـــ لقد سألته ، إنه لم يملك يومًا مثلها .

ثم استطرد فى ضراعة :

ـــ هل يمكننى أن أحتفظ بها يا أُمّاه ؟

ابتسمت الأم ، وربّتت على كتف صغيرها فى حنان ، وهى تقول :

ــ نعم .. ولكن هيًا .. فقد أعددت مائدة الطعام .

تهلّلت أسارير الصغير ، وأسرع إلى حجرته ، وهو يهتف :

ــ شكرًا يا أمّاه .. شكرًا .

ووضع السفينة الدقيقة وسط لُعبه فى اهتمام ، ثم أسرع إلى مائدة الطعام ، دون أن يدرك أن لُعبته الجديدة تضمّ فى داخلها شخصًا يائسًا ، قضى نحبه وهو يبحث عن وطن جديد .. شخص فى حجم الذرّة ..

* * *

[تمّت بحمد الله]

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة ــ تليفون : ٨٢٦٢٨٠

رقم الإيداع ٣٢١٥